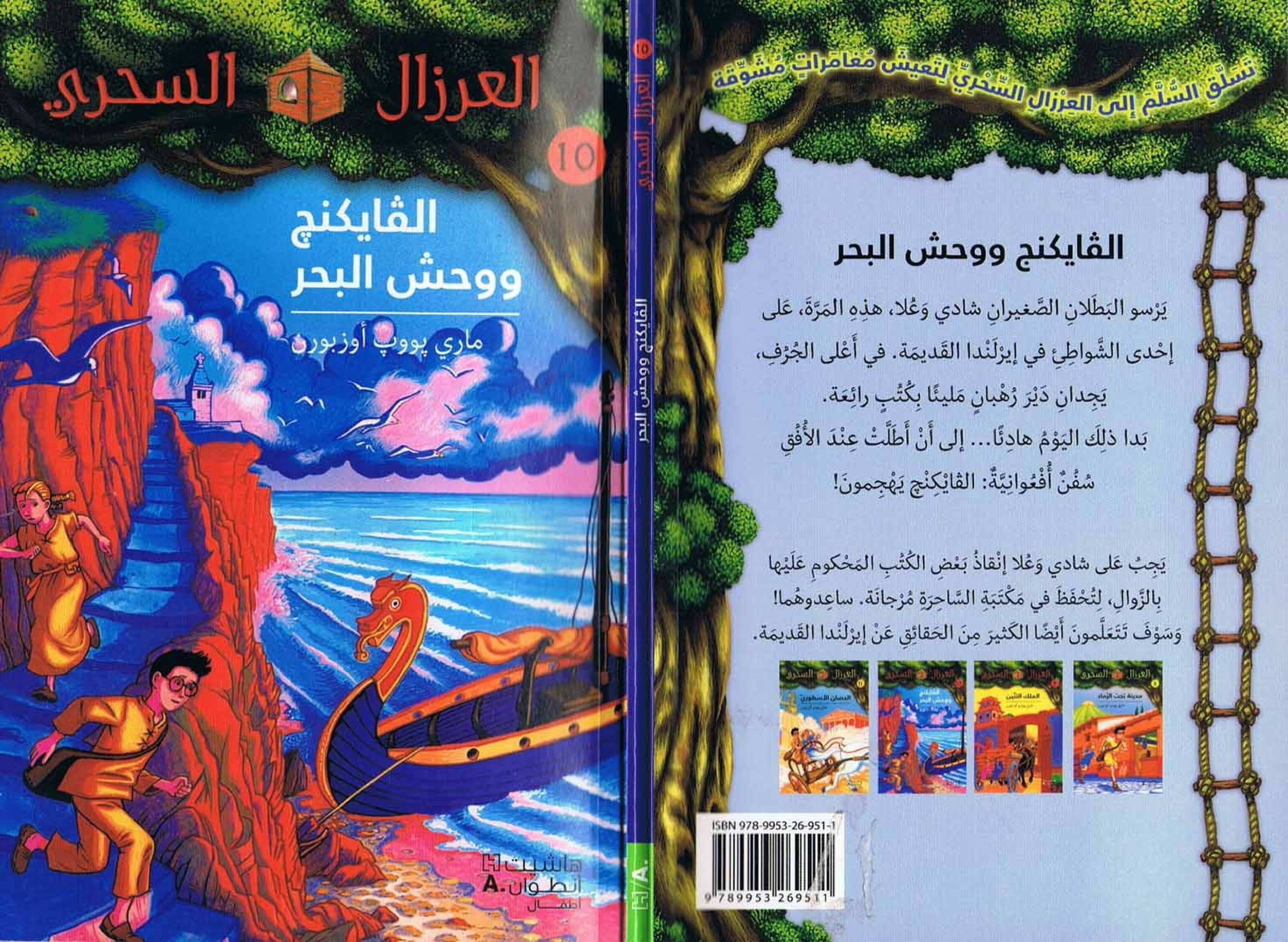


العرزال السحري
10
الفايكنج ووحش البحر
ماري پووپ أوزبورن
هاشيت أنطوان أطفال
10 العرزال السحري الفايكنج ووحش البحر
تسلّق السّلّم إلى العِرزال السّحْرِيّ لِتعيش مُغامَراتٍ مُشوِّقة
الفايكنج ووحش البحر
يَرْسو البَطَلانِ الصَّغيرانِ شادي وَعُلا، هذِهِ المَرَّةَ، عَلى إحْدى الشَّواطِئِ في إيرْلَنْدا القَديمَة. في أَعْلى الجُرُفِ، يَجِدانِ دَيْرَ رُهْبانٍ مَليئًا بِكُتُبٍ رائِعَة.
بَدا ذلِكَ اليَوْمُ هادِئًا... إلى أَنْ أَطَلَّتْ عِنْدَ الأُفُقِ سُفُنٌ أُفْعُوانِيَّةٌ: الفايْكِنْج يَهْجِمونَ!
يَجِبُ عَلى شادي وَعُلا إنْقاذُ بَعْضِ الكُتُبِ المَحْكومِ عَلَيْها بِالزَّوالِ، لِتُحْفَظَ في مَكْتَبَةِ السَّاحِرَةِ مُرْجانَة. ساعِدوهُما!
وَسَوْفَ تَتَعَلَّمونَ أَيْضًا الكَثيرَ مِنَ الحَقائِقِ عَنْ إيرْلَنْدا القَديمَة.
ISBN 978-9953-26-951-1
9789953269511

الڤايكنچ ووحش البحر

العرزال السحري

الفايكنج ووحش البحر

ماري پووپ أوزبورن

نقلها من الإنكليزيّة: غسّان غصن

الرسوم: فيليب ماسون

هاشيت أنطوان
أطفال

© هاشيت أنطوان ش.م.ل.، 2015
سنّ الفيل، حرج تابت، بناية فورِست
ص. ب. 0656-11، رياض الصلح، 2050 1107 بيروت، لبنان
info@hachette-antoine.com
www.hachette-antoine.com
www.facebook.com/hachette-antoine
twitter.com/NaufalBooks

اقتباس تصميم الغلاف: ألزا مهنّا
اقتباس التصميم: ماري تريز مرعب
الرسوم: © Philippe Masson pour Bayard Editions, 2003
طباعة: المطبعة العربية، لبنان

ر.د.م.ك.: 978-9953-26-951-1

Original Title:
(#15) Viking Ships at Sunrise
Text copyright © 1998 by Mary Pope Osborne
This translation published by arrangement with Random House Children's Books, a division of Random House, Inc.

مُلَخَّصُ القِصَّةِ التاسِعَة

⬇⬇⬇

بَعْدَ أَنْ عادَ البَطَلانِ الصَّغيرانِ شادي وَعُلا مِنْ پُومْپايي الَّتي دَمَّرَها بُرْكانُ ڤيسوڤْيوسْ، وَأعادا مَعَهُما أُسْطورَةً قَديمَةً مَكْتوبَةً عَلى إحْدى لَفائِفِ نَباتِ البَرْدِيِّ، سَيَقْصِدانِ الصِّينَ في زَمَنِ المَلِكِ التِّنِّين. هُناكَ، يَدْخُلانِ قَصْرَ المَلِكِ الظّالِمِ وَيُنْقِذانِ أُسْطورَةً صينِيَّةً قَبْلَ دَمارِ المَكْتَبَةِ الإمْبَراطورِيَّة. بَعْدَما صارَتِ المَخْطوطَةُ بِأَمانٍ، يَهْرُبُ الأَخَوانِ مِنْ حُرّاسِ المَلِكِ وَسِهامِهِمْ، فَيَلْجَآنِ إلى المَدْفَنِ المَلَكِيِّ وَيَضيعانِ فيه! لَنْ يَجِدا المَخْرَجَ إلَّا بِفَضْلِ كُرَةِ الخيطانِ السِّحْرِيَّة... ماذا يَنْتَظِرُهُما يا تُرى في مُغامَرَتِهِما التّالِيَة؟

1

قَبْلَ الفَجْرِ

فَتَحَ شادي عَيْنَيْهِ، فَرَأى بَصيصَ نورٍ رَمادِيٍّ مِنْ نافِذَتِه.

كانَتْ ساعَةُ المُنَبِّهِ تُشيرُ إلى الخامِسَةِ صَباحًا.

فَقالَ في نَفْسِهِ: «اليَوْمَ سَنَذْهَبُ إلى إيرْلَنْدا القَديمَةِ... إلى ما قَبْلَ أَلْفِ عام!»

وَسَبَقَ لِمُرْجانَة لو فايْ أَنْ قالَتْ لَهُ إنَّها كانَتْ أَزْمِنَةً خَطِرَةً جِدًّا، مَعَ غَزْوِ الڤايْكِنْج لِسَواحِلِ ذلِكَ البَلَد.

وَقَفَتْ عُلا في بابِ الغُرْفَةِ، وَقالَتْ هامِسَةً: «هَلْ أَنْتَ مُسْتَيْقِظٌ؟»

كانَتْ مُرْتَدِيَةً ثِيابَها وَجاهِزَةً لِلذَّهاب.

فَقالَ لَها شادي إنَّهُ سَيُقابِلُها في الخارِج.

ارْتَدى ثِيابَهُ، وَوَضَعَ بِطاقَتَهُ المَكْتَبِيَّةَ السِّرِّيَّةَ في حَقيبَةِ ظَهْرِهِ، مَعَ دَفْتَرِ مُلاحَظاتِهِ وَقَلَمِه. ثُمَّ أَسْرَعَ إلى الخارِجِ حَيْثُ كانَتْ عُلا في انْتِظارِهِ. كانَ الجَوُّ رَطِبًا وَيَلُفُّ المَكانَ ضَبابٌ رَقيقٌ.

– مُسْتَعِدٌّ، يا شَدْشود؟

أَخَذَ شادي نَفَسًا عَميقًا، وَقالَ: «أَعْتَقِدُ ذلِكَ، مَعَ أَنَّني قَلِقٌ قَليلًا مِنَ الفايْكِنْج!»

سارا صامِتَيْنِ عَلى العُشْبِ المُبَلَّلِ بِالنَّدى. ثُمَّ رَكَضا عَبْرَ شارِعِهِما إلى غابَةِ الشَّجْراءِ المُعْتِمَة.

– أَكادُ لا أَرى شَيْئًا، يا عُلا.

– أَيْنَ العِرْزال؟

– لا أَدْري!

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، وَقَعَ شَيْءٌ أَمامَهُما. فَغَطّى شادي رَأْسَهُ بِيَدِهِ صائِحًا: «انْتَبِهي!»

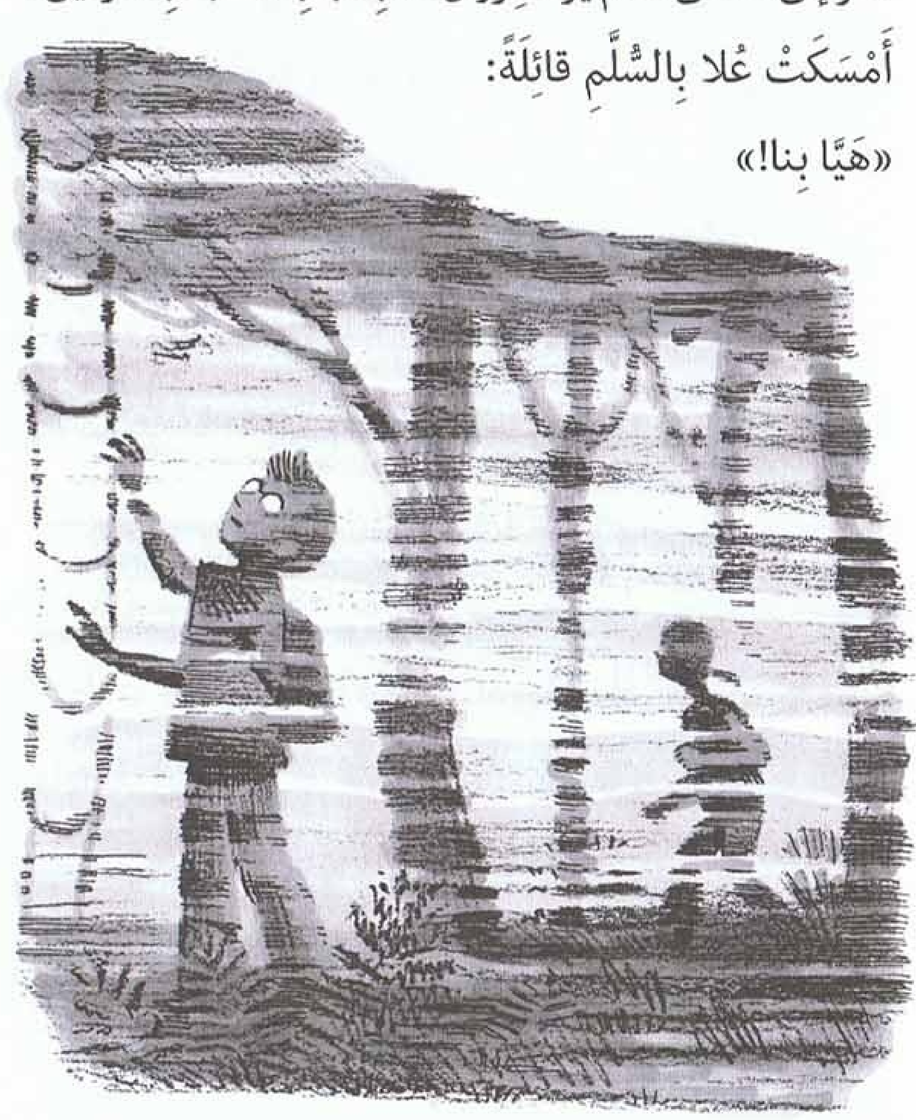
قالَتْ عُلا: «إِنَّهُ سُلَّمُ الحِبالِ، يا شُجاع!»

فَتَحَ شادي عَيْنَيْهِ، فَرَأى السُّلَّمَ مَتَدَلِّيًا مِنْ أَعالي شَجَرَةِ السِّنْدِيان.

نَظَرَ إلى الأَعْلى، فَلَمْ يَرَ العِرْزالَ... بِسَبَبِ الضَّبابِ الرَّقيق.

أَمْسَكَتْ عُلا بِالسُّلَّمِ قائِلَةً:

«هَيّا بِنا!»



عِنْدَما دَخَلا العِرْزالَ، رَحَّبَتْ بِهِما مُرْجانَة، قائِلَةً: «أَهْلًا بِكُما! تُسْعِدُني رُؤْيَتُكُما.»

كانَتْ جالِسَةً في إحْدى الزَّوايا، وَقُرْبَ قَدَمَيْها المَخْطوطَةُ مِنْ أَزْمِنَةِ الرُّومانِ القُدَماءِ... وَالكِتابُ الخَيْزَرانِيُّ مِنَ الصِّينِ القَديمَة.

قالَ لَها شادي وَعُلا مَعًا: «تُسْعِدُنا رُؤْيَتُكِ أَيْضًا.»

– إِنَّهُ لَأَمْرٌ جَيِّدٌ أَنَّكُما أَتَيْتُما في وَقْتٍ مُبَكِّر.

ثُمَّ مَدَّتْ يَدَها إلى إحْدى طَيَّاتِ رِدائِها، وَأَخْرَجَتْ وَرَقَةً صَغيرَة.

– هذِهِ هِيَ القِصَّةُ القَديمَةُ الَّتي يَجِبُ أَنْ تَجِداها اليَوْم.

أَعْطَتْ مُرْجانَة الوَرَقَةَ لِشادي، فَرَأى عَلَيْها كَلِمَتَيْنِ غامِضَتَيْن:



ذَكَّرَتْهُ هاتانِ الكَلِمَتانِ الغامِضَتانِ بِالكَلِماتِ الَّتي رَآها في مَدينَةِ پومْپايي.

– تَبْدو هذِهِ الكِتابَةُ لاتينِيَّة.

– أَحْسَنْتَ، يا شادي. إنَّها فِعْلًا كِتابَةٌ لاتينِيَّة.

فَقالَتْ عُلا: «لكِنَّني ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ كانوا يَتَحَدَّثونَ اللَّاتينِيَّةَ في روما القَديمَة. أَلَسْنا ذاهِبَيْنِ اليَوْمَ إلى إيرْلَنْدا؟»

– بَلى، يا عَزيزَتي. لكِنْ، إبَّانَ العُصورِ المُظْلِمَةِ في أوروبَّا، كانَ المُثَقَّفونَ يَكْتُبونَ بِاللَّاتينِيَّة.

سَأَلَها شادي: «العُصورُ المُظْلِمَة؟»

فَقالَتْ مُرْجانَة: «نَعَمْ. هِيَ أَزْمِنَةُ ما بَعْدَ سُقوطِ الإِمْبَراطورِيَّةِ الرُّومانِيَّة.»

– لِماذا سُمِّيَتْ **مُظْلِمَة**؟

– كانَتْ أَزْمِنَةً صَعْبَةً جِدًّا، يا شادي... حَيْثُ سادَ الظَّلامُ الفِكْرِيُّ وَالثَّقافِيُّ، إلى جانِبِ التَّرَدِّي التِّجارِيِّ وَالاقْتِصادِيّ.

أَخْرَجَتْ مُرْجانَة كِتابًا مِنْ تَحْتِ رِدائِها، وَأَعْطَتْ عُلا إِيَّاهُ... قائِلَةً: «هذا كِتابُ البَحْث. عُنوانُهُ: إيرْلَنْدا في قَديمِ الزَّمان».

وَأَضافَتْ: «هذا الكِتابُ يُرشِدُكُما، وَلكِنْ في أَحْلَكِ أَوْقاتِكُما...»

فَقالَ شادي وَعُلا مَعًا: «وَحْدَها القِصَّةُ القَديمَةُ يُمْكِنُها إِنْقاذُنا.»

– وَتَذَكَّرا أَنَّها يَجِبُ أَنْ تَكونَ أَحْلَكَ أَوْقاتِكُما فِعْلًا، أَيْ عِنْدَ فُقْدانِ كُلِّ أَمَلٍ في النَّجاة. مَعْنى ذلِكَ أَنَّ المُساعَدَةَ لَنْ تَأْتِيَكُما، إذا طَلَبْتُماها أَبْكَرَ مِمَّا يَلْزَم.

فَقالَتْ عُلا: «عَلَيْنا أَوَّلًا إيجادُ القِصَّة.»

– تَمامًا. هَلْ مَعَكُما البِطاقَتانِ المَكْتَبِيَّتانِ السِّرِّيَّتان؟

فَهَزَّ الأَخَوانِ الصَّغيرانِ رَأْسَيْهِما إيجابًا.

قالَتْ مُرْجانَة: «تَأَكَّدا مِنْ أَنْ يَراهُما أَكْثَرُ إِنْسانٍ حِكْمَةً تَلْتَقِيانِه.»

فَقالَتْ عُلا واثِقَةً: «لا تَقْلَقي. أَعْتَقِدُ أَنَّنا الآنَ مُسْتَعِدَّانِ لِلذَّهاب.»

وَأَشارَتْ إِلى غِلافِ الكِتابِ عَنْ إيرْلَنْدا، قائِلَةً: «أَتَمَنَّى أَنْ نَذْهَبَ إِلى هُناك».

ثُمَّ لَوَّحَتْ بِيَدِها لِمُرْجانَة، وَقالَتْ: «نَراكِ قَريبًا!».

– أَتَمَنَّى لَكُما حَظًّا سَعيدًا، وَعَوْدَةً سالِمَة.

هَبَّتِ الرِّيحُ، وَبَدَأَ العِرْزالُ يَدورُ بِسُرْعَةٍ... وَتَزْدادُ سُرْعَتُهُ أَكْثَرَ فَأَكْثَر.

ثُمَّ هَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ... هُدوءًا تامًّا.

2



الارْتِفاعُ الشّاهِق

فَتَحَ شادي عَيْنَيْهِ، فَرَأى أَنَّ الضَّوْءَ لا يَزالُ رَمادِيًّا. لكِنَّ الجَوَّ هُنا أَكْثَرُ رُطوبَةً وَأَشَدُّ بَرْدًا مِنْ بَلْدَةِ الشَّجْراء.

قالَتْ عُلا: «أوه! إِنَّني أَرْتَدي فُسْتانًا طَويلًا، لكِنَّهُ خَشِنٌ إلى حَدٍّ ما. آ... أُنْظُرْ! لَدَيَّ مِحْفَظَةٌ صَغيرَةٌ مُعَلَّقَةٌ بِحِزامي، وَفيها بِطاقَتي المَكْتَبِيَّة!»

تَأَمَّلَ شادي ثِيابَه. كانَ يَرْتَدي قَميصًا وَسِرْوالًا مَصْنوعَيْنِ مِنْ أَحَدِ أَنْواعِ الصّوفِ، وَيَلْبَسُ خُفَّيْنِ مِنَ الجِلْد.

وَبَدَلَ حَقيبَةِ الظَّهْرِ، كانَ يَحْمِلُ كيسًا جِلْدِيًّا.

قالَتْ عُلا، وَهِيَ تَنْظُرُ إلى الخارِجِ: «أوه! إِنَّها تَبْدو فِعْلًا كَأَزْمِنَةٍ مُظْلِمَة!»



نَظَرَ شادي مِنْ نافِذَةِ العِرْزالِ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ شَيْءٍ بِسَبَبِ الضَّباب.

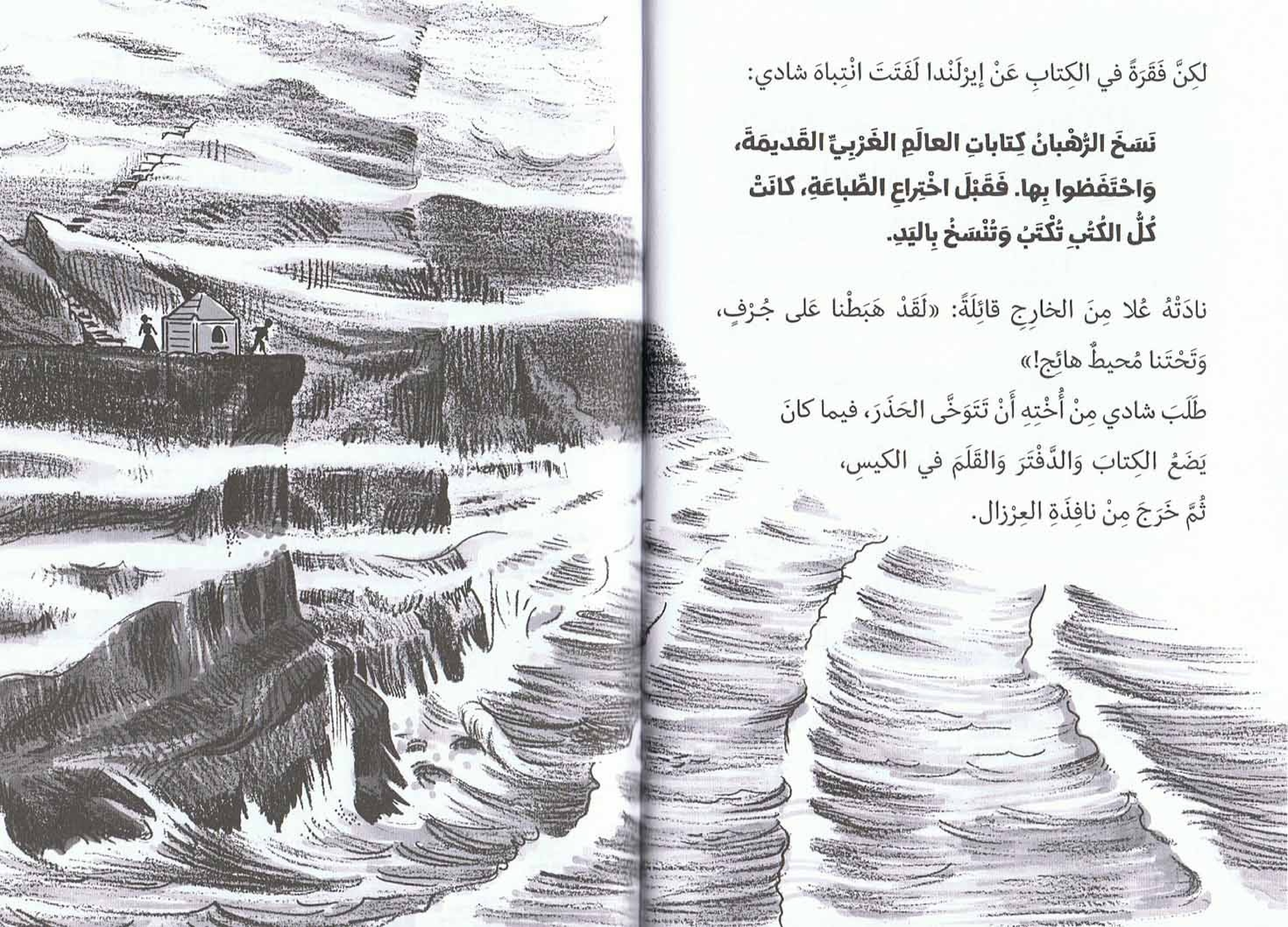
وَقالَ: «السَّبَبُ هُوَ أَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُشْرِقْ بَعْد. سَأَرى ما يَقولُهُ الكِتاب.»
ناوَلَتْهُ عُلا الكِتابَ، فَفَتَحَهُ وَقَرَأَ بِصَوْتٍ عالٍ:

كانَتِ القُرونُ الوُسْطى المُبْكِرَةُ تُعْرَفُ بِاسْمِ «العُصورِ المُظْلِمَةِ»، لِأَنَّ الثَّقافَةَ وَالتَّعَلُّمَ اخْتَفَيا تَقْريبًا في كُلِّ أَنْحاءِ أوروبّا. وَاليَوْمَ يُثْني العُلَماءُ المُتَبَحِّرونَ عَلى الرُّهْبانِ الإيرْلَنْدِيّينَ الشُّجْعانِ الَّذينَ ساعَدوا عَلى إِبْقاءِ الحَضارَةِ الغَرْبِيَّةِ حَيَّةً.

– ما مَعْنى كَلِمَتَيْ **حَضارَةٍ وَرُهْبانٍ** يا شادي؟
– أَعْتَقِدُ أَنَّ الحَضارَةَ مَعْناها عِنْدَما يَكونُ لَدى النّاسِ كُتُبٌ وَفُنونٌ وَسُلوكٌ جَيِّد. وَالرُّهْبانُ رِجالٌ مُتَدَيِّنونَ يُمْضونَ أَوْقاتَهُمْ في الصَّلاةِ وَالقِراءَةِ وَمُساعَدَةِ النّاس.»
فَقالَتْ عُلا: «لِكِنَّني لا أَرى أَيَّ **حَضارَةٍ** أَوْ أَيَّ **رُهْبانٍ** في الخارِجِ!»
أَخْرَجَ شادي دَفْتَرَ مُلاحَظاتِهِ وَقَلَمَهُ، وَكَتَبَ:

رُهْبانٌ شُجْعانٌ في إيرْلَنْدا

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى عُلا، قائِلًا: «إِذا وَجَدْنا حَضارَةً، فَفي اعْتِقادي أَنَّنا سَنَجِدُ القِصَّةَ المَفْقودَةَ».
حينَئِذٍ، طَلَبَتْ عُلا مِنْ أَخيها أَنْ يَنْطَلِقا في مُهِمَّتِهِما.
رَفَعَتْ فُسْتانَها قَليلًا، وَنَزَلَتْ مِنْ نافِذَةِ العِرْزالِ.



لكِنَّ فَقَرَةً في الكِتابِ عَنْ إيرْلَنْدا لَفَتَتِ انْتِباهَ شادي:

نَسَخَ الرُّهْبانُ كِتاباتِ العالَمِ الغَرْبِيِّ القَديمَةَ، وَاحْتَفَظوا بِها. فَقَبْلَ اخْتِراعِ الطِّباعَةِ، كانَتْ كُلُّ الكُتُبِ تُكْتَبُ وَتُنْسَخُ بِاليَدِ.

نادَتْهُ عُلا مِنَ الخارِجِ قائِلَةً: «لَقَدْ هَبَطْنا عَلى جُرْفٍ، وَتَحْتَنا مُحيطٌ هائِجٌ!»

طَلَبَ شادي مِنْ أُخْتِهِ أَنْ تَتَوَخّى الحَذَرَ، فيما كانَ يَضَعُ الكِتابَ وَالدَّفْتَرَ وَالقَلَمَ في الكيسِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ نافِذَةِ العِرْزالِ.

كانَتْ عُلا تَتَفَحَّصُ ما تَحْتَهُما، فَانْضَمَّ إِلَيْها شادي.

شاطِئٌ صَخْرِيٌّ تَحْتَ حافَّةِ الجُرْفِ بِبِضْعَةِ أَمْتار. أَمْواجٌ تَضْرِبُ الصُّخورَ بِقُوَّةٍ، فَتَرْتَفِعُ مِياهُها عالِيًا قَبْلَ أَنْ تَنْحَسِر.

طُيورُ النَّوْرَسِ تَنْقَضُّ وَتَنْزَلِقُ فَوْقَ الماءِ، بَحْثًا عَنِ الأَسْماك.

قالَ شادي: «يَبْدو أَنَّ ما مِنْ حَضارَةٍ هُناك!»

فَأَشارَتْ عُلا إِلى دَرَجاتٍ شَديدَةِ الارْتِفاع، مَحْفورَةٍ في الجُرْفِ، قائِلَةً: «لَرُبَّما عَلَيْنا تَسَلُّقُ هذِهِ الدَّرَجات».

نَظَرَ شادي إِلى الأَعْلى، فَلَمْ يَرَ سِوى بِضْعِ دَرَجاتٍ... بِسَبَبِ الضَّباب.

– الأَفْضَلُ لَنا، يا عَلّولا، الاِنْتِظارُ إِلى حينِ شُروقِ الشَّمْس.

فَقالَتْ لَهُ عُلا، وَهِيَ تَسيرُ نَحْوَ الدَّرَجِ الصَّخْرِيِّ: «سَنَصْعَدُ بِبُطْءٍ وَحَذَرٍ شَديدَيْن.»

– اِنْتَظِري، فَقَدْ يَكونُ زَلِقًا بِسَبَبِ الرُّطوبَة!

صَرَخَتْ عُلا وَهِيَ تَكادُ تَقَعُ عَلى ظَهْرِها: «أوووه! تَعَثَّرْتُ بِفُسْتاني!»

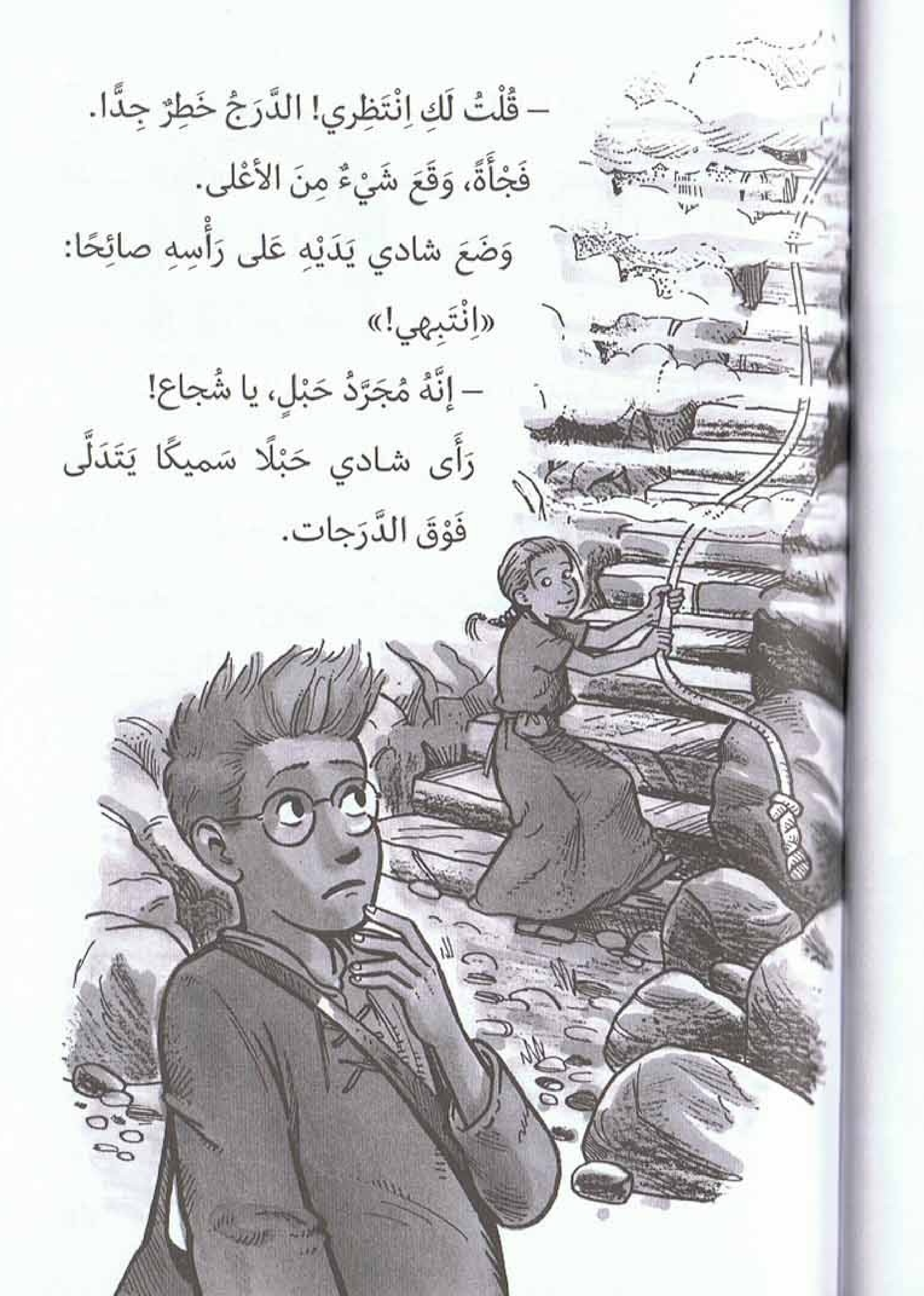
– قُلْتُ لَكِ اِنْتَظِري! الدَّرَجُ خَطِرٌ جِدًّا.

فَجْأَةً، وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ الأَعْلى.

وَضَعَ شادي يَدَيْهِ عَلى رَأْسِهِ صائِحًا: «اِنْتَبِهي!»

– إِنَّهُ مُجَرَّدُ حَبْلٍ، يا شُجاع!

رَأى شادي حَبْلًا سَميكًا يَتَدَلّى فَوْقَ الدَّرَجات.



تَساءَلَ: «مِنْ أَيْنَ أَتى هذا الحَبْلُ، وَلِماذا؟»

فَقالَتْ عُلا: «إنَّه مِثْلُ سُلَّمِ الحِبالِ الَّذي رَمَتْهُ لَنا مُرْجانَة. أَعْتَقِدُ أَنَّ شَخْصًا ما يُحاوِلُ مُساعَدَتَنا.»

– صَحيح. لكِنْ مَنْ هُوَ، يا تُرى؟

أَمْسَكَتْ عُلا بِالْحَبْلِ، قائِلَةً: «هَيّا لِنَعْرِفِ الجَواب. سَأَسْتَعينُ بِهِ لِلصُّعود. وَعِنْدَما أَصِلُ إلى أَعْلى الدَّرَجِ، تَبْدَأُ أَنْتَ الصُّعود».

– حَسَنًا، لكِنْ أَسْرِعي... وَكوني حَذِرَةً جِدًّا.

بَدَأَتْ عُلا الصُّعودَ عَلى الدَّرَجِ، مُسْتَعينَةً بِالحَبْل. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ، اِخْتَفَتْ عَلى سَطْحِ الجُرْف.

صاحَ شادي، مُتَسائِلًا عَنْ نَوْعِ المَكانِ في الأَعْلى. لكِنَّ هَديرَ الأَمْواجِ أَغْرَقَ صَوْتَهُ، رُغْمَ الصِّياح.

أَمْسَكَ بِالْحَبْلِ، وَصَعِدَ دَرَجَةً دَرَجَة.

في نِهايَةِ الدَّرَجِ، رَفَعَ نَفْسَهُ فَوْقَ الحافَّة. فَسَمِعَ صَوْتًا عَميقًا، مَرِحًا: «آ... غازٍ صَغيرٌ آخَر!»

3



الأَخُ باتْرِك

كانَتْ نَظّارَةُ شادي مُبَلَّلَةً بِسَبَبِ الرُّطوبَة. فَجَفَّفَها بِسُرْعَةٍ، وَنَظَرَ إلى الأَعْلى.

رَأى رَجُلًا ذا وَجْهٍ مُسْتَديرٍ مُحْمَرٍّ، يَلْبَسُ رِداءً بُنِّيًّا.

كانَ أَصْلَعَ، بِاسْتِثْناءِ ما يُشْبِهُ شَريطًا مِنَ الشَّعْرِ يَلُفُّ رَأْسَه. وَبِقُرْبِهِ، كانَ الحَبْلُ مَرْبوطًا بِشَجَرَة.

قالَ شادي: «أَنا... أَنا لَسْتُ غازِيًا.»

وَقالَتْ عُلا، الواقِفَةُ وَراءَ الرَّجُلِ: «إنَّهُ شادي، وَأَنا عُلا. وَنَحْنُ مِنْ بَلَدٍ بَعيدٍ جِدًّا.»

أَضافَ شادي مُتَلَعْثِمًا: «نَحْنُ... نَحْنُ آتِيانِ بِسَلام.»

تَلأْلَأَتْ عَيْنا الرَّجُلِ الزَّرْقاوانِ، وَقالَ: «تَفاجَأْتُ بِما حَصَل. فَقَدْ رَمَيْتُ الحَبْلَ لِأَنْزِلَ عَلى الدَّرَجِ، لكِنَّكُما أَمْسَكْتُما بِه. غَيْرَ أَنَّ الأَهَمَّ مِنْ ذلِكَ هُوَ: كَيْفَ وَصَلْتُما إلى هذِهِ الجَزيرَة؟»

حَدَّقَ شادي إلى الرَّجُلِ، لا يَعْرِفُ كَيْفَ يُفَسِّرُ قَضِيَّةَ العِزْزالِ السِّحْرِيِّ.

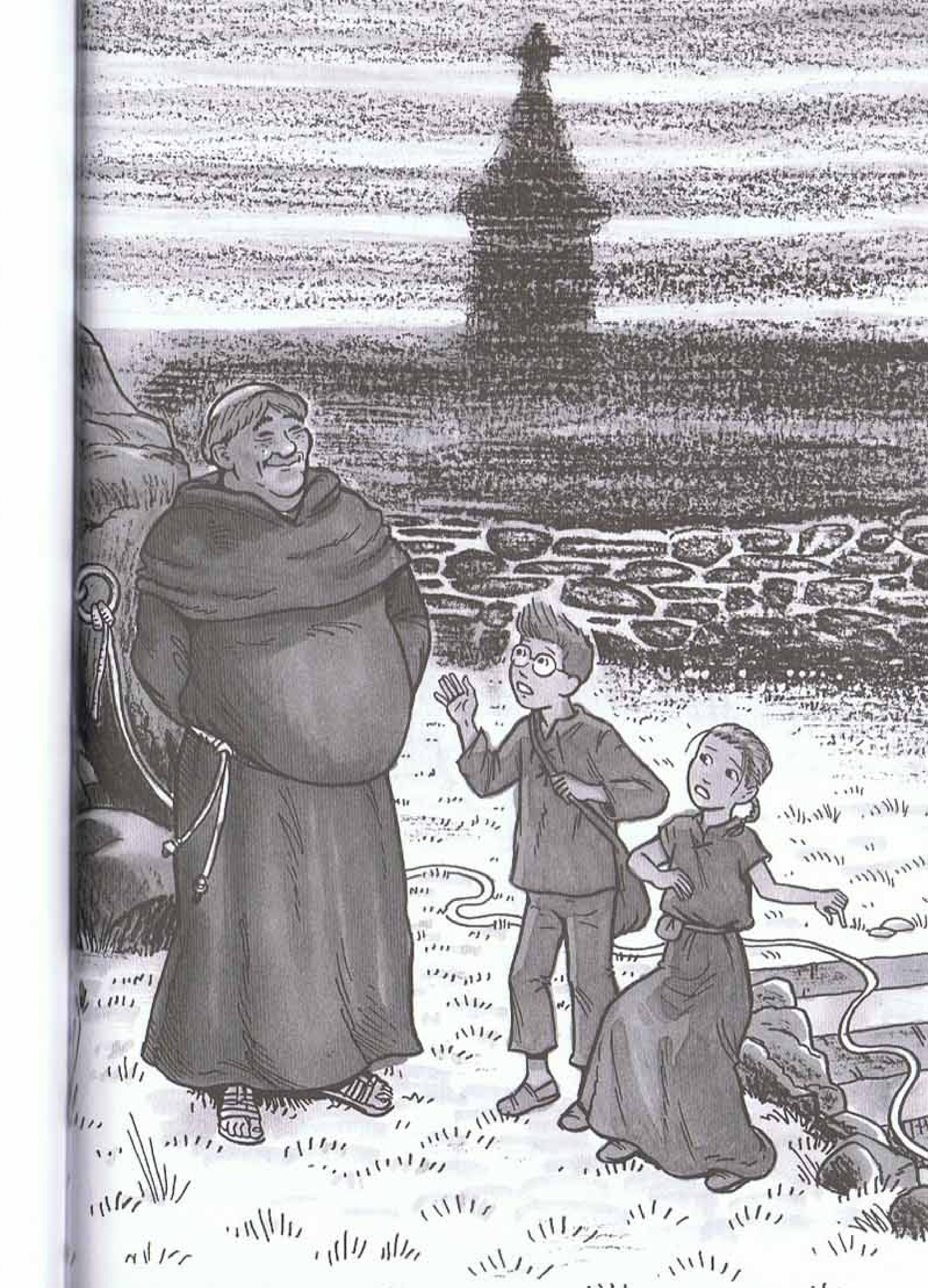
فَسارَعَتْ عُلا إلى القَوْلِ: «بِقارِبِنا!»

بَدا الرَّجُلُ في حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَقالَ: «لا تَسْتَطيعُ قَوارِبُ عَديدَةٌ أَن تَصِلَ إلى الشّاطِئِ، في مِثْلِ هذِهِ السّاعَةِ المُبَكِّرَةِ المُظْلِمَة!»

قالَتْ عُلا باسِمَةً: «نَحْنُ بَحّارانِ مُمْتازان.»

فَقالَ شادي في سِرِّهِ: «يا لَلْمُصيبَة! ماذا لَوْ قَرَّروا امْتِحانَ مَهارَتِنا المِلاحِيَّة!»

سَأَلَتْ عُلا الرَّجُلَ بِهُدوءٍ: «أَيْنَ نَحْنُ الآنَ بِالضَّبْط؟ وَمَنْ حَضْرَتُكَ بِالضَّبْط؟»



فَقالَ: «أَنْتُما عَلى جَزيرَةٍ مُقابِلَ ساحِلِ إيرْلَنْدا. وَأَنا الأَخُ پاتْرِك.»

سَأَلَتْهُ عُلا: «أَخو مَنْ؟»

فَابْتَسَمَ الرَّجُلُ، وَقالَ: «كَلِمَةُ **أَخٍ** هُنا تَعْني أَنَّني راهِب.»

قالَتْ لَهُ عُلا: «أوه، أَنْتَ إِذَنْ أَحَدَ الرُّهْبانِ الَّذينَ أَنْقَذوا الحَضارَةَ!»

اِبْتَسَمَ الرَّجُلُ مَرَّةً ثانِيَة.

اِسْتَدارَتْ عُلا نَحْوَ شادي، وَقالَتْ هامِسَةً: «عَلَيْنا أَنْ نُرِيَهُ بِطاقَتَيْنا. فَأَنا أَثِقُ بِه».

هَزَّ شادي رَأْسَهُ مُوافِقًا، لِأَنَّهُ هُوَ أَيْضًا وَثِقَ بِالرَّاهِب.

أَخْرَجَ كُلٌّ مِنَ الأَخَوَيْنِ الصَّغيرَيْنِ بِطاقَتَهُ المَكْتَبِيَّةَ السِّرِّيَّةَ، لِيَراها الأَخُ پاتْرِك.



لَمَعَ حَرْفا م. ل.، **مَكْتَبِيٌّ لامِعٌ**، في الضَّوْءِ الخَفيف. فَنَظَرَ إِلَيْهِما الرَّاهِبُ، وَأَحْنى رَأْسَهُ قائِلًا: «أَهْلًا بِكُما، أَيُّها الصَّديقان.»

فَقالَ الصَّغيرانِ مَعًا: «شُكْرًا.»

– لَمْ أَعْتَقِدْ فِعْلًا أَنَّكُما غازِيان. لكِنَّنا، في جَزيرَتِنا الصَّغيرَةِ هذِهِ، حَذِرونَ مِنَ الغُرَباء.

سَأَلَتْهُ عُلا عَنِ السَّبَبِ، فَقالَ: «ثَمَّةَ قِصَصٌ رَهيبَةٌ عَنِ الغُزاةِ الڤايْكِنْج. فَعِنْدَما نَرى سُفُنَهُمُ الأُفْعُوانِيَّةَ، يَجِبُ أَنْ نَخْتَبِئَ فَوْرًا... لِئَلَّا يَأْخُذونا عَبيدًا لَهُم!»

تَساءَلَ شادي: «سُفُنٌ أُفْعُوانِيَّة؟»

فَقالَ الأَخُ باتْرِك: «غالِبًا ما تُحْفَرُ مُقَدِّماتُ سُفُنِهِمْ عَلى شَكْلِ رَأْسِ أَفْعى. وَهذا يَدُلُّ عَلى أَفْعالِهِمِ الشَّرِسَةِ الَّتي لا تَعْرِفُ الرَّحْمَة.»

نَظَرَ شادي إلى البَحْرِ الرَّمادِيِّ المُغَلَّفِ بِالضَّبابِ الرَّقيق.

فَقالَ لَه الرَّاهِبُ، وَهُوَ يَغْمِزُ عُلا بِطَرافَةٍ: «لا تَقْلَقْ يا عَزيزي. لَيْسَ في اسْتِطاعَتِهِمْ أَنْ يَنْزِلوا عَلى هذِهِ الجَزيرَةِ آمِنينَ، قَبْلَ الصُّبْح. فَهُمْ لَيْسوا بَحّارَةً مُمْتازينَ مِثْلَ... آخَرَيْنَ أَعْرِفُهُما!»

اِبْتَسَمَتْ عُلا إِعْجابًا بِالمُلاحَظَةِ الطَّريفَةِ، فيما كانَ شادي يُفَكِّر.

قالَ الأَخُ باتْرِك لِلأَخَوَيْنِ بِجِدِّيَّةٍ: «أَخْبِراني الآنَ، لِمَ جِئْتُما إِلى هُنا؟»

فَقالَ شادي: «آسِف! كِدْتُ أَنْسى!»

ثُمَّ أَخْرَجَ قُصاصَةَ مُرْجانَةَ مِنْ كيسِهِ الجِلْدِيّ. وَلَفَتَ انْتِباهَ الرَّاهِبِ إِلى الكَلِمَتَيْنِ اللّاتينِيَّتَيْن.



وَقالَتْ عُلا: «هذا عُنْوانُ قِصَّةٍ يَجِبُ أَنْ نَعودَ بِها إِلى صَديقَتِنا وَمُرْشِدَتِنا، مُرْجانَة لو فاي.»

نَظَرَ الرَّاهِبُ إِلى الأَخَوَيْنِ نَظْرَةً غامِضَةً، وَقالَ: «فَهِمْتُ...!»

تَساءَلَ شادي في نَفْسِهِ عَمّا يُفَكِّرُ فيهِ هذا الرَّجُل. لكِنَّ الأَخَ باتْرِك غَيَّرَ المَوْضوعَ، قائِلًا: «أَعْتَقِدُ أَنَّكُما تَرْغَبانِ في زِيارَةِ دَيْرِنا.»

سَأَلَتْهُ عُلا عَنْ مَعْنى كَلِمَةِ **دَيْر**، فَقالَ: «إِنَّهُ المَكانُ الَّذي يَعيشُ فيهِ الرُّهْبانُ وَيَتَعَبَّدونَ وَيَعْمَلون. هَيّا بِنا.»

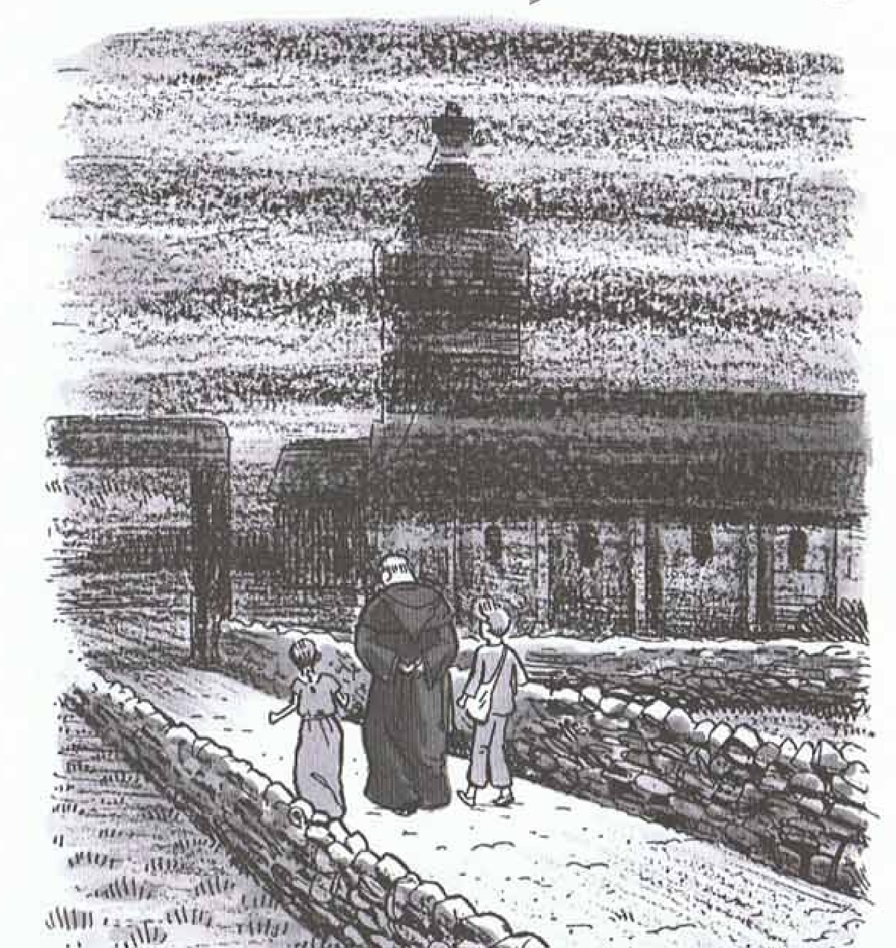
قالَ شادي: «لكِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُشْرِقْ بَعْد! أَلا يَكونُ الآخَرونَ نائِمينَ الآن؟»

فَأَجابَهُ الرَّاهِبُ: «أوه، لا. فَفي الصَّيْفِ، نَسْتَيْقِظُ باكِرًا جِدًّا... لِأَنَّ لَدَيْنا الكَثيرَ لِنَفْعَلَه.»

سارَ الرَّاهِبُ أَمامَ شادي وَعُلا عَلى طَريقٍ تُرابِيَّةٍ ضَيِّقَة.

وَكانَ شادي يَتَمَنَّى طَوالَ الوَقْتِ أَنْ يَجِدا الكِتابَ في الدَّيْر. فَهُوَ يُريدُ مُغادَرَةَ الجَزيرَةِ الكَئيبَةِ، وَالهَرَبَ مِنْ مَخاطِرِ تَعَرُّضِها لِغَزَواتِ الفايْكِنْج، في أَسْرَعِ وَقْتٍ مُمْكِن.

سَمِعَ الثَّلاثَةُ صَوْتَ جَرَسٍ خافِتًا، وَرَأى شادي بُرْجَ كَنيسَة.





4 كُتُبُ الرَّوائِعِ وَالأَعاجيب

كانَ الدَّيْرُ مُسَوَّرًا بِسورٍ حَجَرِيّ.

أَخَذَ الأَخُ باتْرِك عُلا وَشادي عَبْرَ البَوَّابَةِ، فَشاهَدا وَراءَها كَنيسَةً صَغيرَةً، وَجَرَسًا مُعَلَّقًا.

كانَتْ هُناكَ أَيْضًا حَديقَةُ خُضَرٍ وَسِتَّةُ أَكْواخٍ حَجَرِيَّةٍ... مَبْنِيَّةٍ كَخَلايا نَحْلٍ ضَخْمَة.

قالَ الأَخُ باتْرِك: «نَزْرَعُ هُنا كُلَّ مَوادِّ طَعامِنا النَّباتِيّ.»

أَخَذَهُما الرَّاهِبُ إِلى مَدْخَلِ الكوخِ الأَوَّلِ، فَأَطَلَّا بِرَأْسَيْهِما إِلى الدَّاخِل.

كانَ راهِبٌ يُخْرِجُ خُبْزًا مُسَطَّحًا مِنْ فُرْنٍ حَجَرِيٍّ مُنْخَفِض.

– هذا مَخْبَزُنا.



فَقالَتْ عُلا: «رائِحَةُ الخُبْزِ الطّازَجِ رائِعَةٌ جِدًّا!»

سارَ الأَخُ پاتْرِك أَمامَ الأَخَوَيْنِ شارِحًا وَظائِفَ الأَكْواخ.

– هذا عَنْبَرُ المَنامَة. وَفي هذا المَكانِ، نَنْسِجُ ثِيابَنا. هُنا، نُرَقِّعُ صَنادِلَنا. وَهُنا، نَنْجُرُ الخَشَبَ وَنَصْنَعُ مِنْهُ أَدواتِنا.

أَخيرًا، وَصَلَ الأَخُ پاتْرِك إِلى الكوخِ الأَضْخَمِ وَالأَعْلى.

– تَرَكْتُ الأَفْضَلَ لِلآخِر. هُنا، نَقومُ بِأَهَمِّ أَعْمالِنا.

وَدَخَلَ إِلى الكوخِ، فَتَبِعَهُ الأَخَوان.

كانَ الكوخُ دافِئًا وَمُسالِمًا، لكِنَّهُ مَليءٌ بِالحَياة.

يَتَوَهَّجُ بِالنّورِ الذَّهَبِيِّ لِشُموعٍ عَديدَة.

رُهْبانٌ جالِسونَ إِلى طاوِلاتٍ خَشَبِيَّة. بَعْضُهُمْ يَقْرَأُ، وَبَعْضُهُمْ يَلْعَبُ الشِّطْرَنْج. وَآخَرونَ يَكْتُبونَ كُتُبًا، وَيَرْسُمونَ فيها.

قالَ الأَخُ پاتْرِك: «هذِهِ مَكْتَبَتُنا. هُنا نَدْرُسُ الرِّياضِيّاتِ وَالتّاريخَ وَالشِّعْر... وَنَلْعَبُ الشِّطْرَنْج... وَنُنْتِجُ كُتُبًا.»

فَقالَتْ عُلا لِأَخيها: «أَعْتَقِدُ أَنَّنا وَجَدْناها.»

– وَجَدْنا ماذا؟

فَقالَتْ عُلا: «الحَضارَة!»

ضَحِكَ الأَخُ پاتْرِك، وَقالَ: «نَعَمْ، هذا هُوَ المَكانُ الَّذي تَخْتَبِئُ فيهِ الحَضارَة. هُنا، عَلى قِمَّةِ جَزيرَتِنا المُنْعَزِلَةِ في البَحْر.»

فَقالَ شادي: «رائِع. إنَّهُ مَكانٌ أُحِبُّهُ كَثيرًا.»

سَأَلَتْ عُلا الرَّاهِبَ: «ما نَوْعُ الكُتُبِ الَّتي تُعِدُّونَها هُنا؟»

فَقالَ الأَخُ پاتْرِك: «كُتُبُ الرَّوائِعِ وَالأَعاجيب. نُدَوِّنُ أَبْرَزَ أَحْداثِ عالَمِنا وَمُنْجزاتِه، فَضْلًا عَنِ الأَساطيرِ الإيرْلَنْدِيَّةِ القَديمَة.»

سَأَلَهُ شادي: «أَساطير؟»

– نَعَمْ، وَقَدْ جُمِّعَتْ مِنْ رُواةِ قِصَصِنا، مِنَ العَجائِزِ اللَّواتي

يُغَنِّينَ حِكاياتِ الماضي البَعيدِ، عِنْدَما كانَ النَّاسُ يُؤْمِنونَ بِالسِّحْر.»

ثُمَّ قالَ الرَّاهِبُ لِشادي وَعُلا: «تَعالا مَعي لِأُرِيَكُما كِتابَ الأَخِ مايْكِل. إنَّهُ يَعْمَلُ عَلَيْهِ طَوالَ حَياتِه.»

سارَ الأَخُ پاتْرِك أَمامَهُما إلى راهِبٍ عَجوزٍ... يَرْسُمُ إطارًا أَزْرَقَ حَوْلَ إحْدى صَفَحاتِ الكِتاب.

قالَ الأَخُ پاتْرِك: «مايْكِل، هذانِ مَكْتَبِيَّانِ لامِعانِ مِنْ بِلادٍ بَعيدَةٍ يَوَدَّانَ الاطِّلاعَ عَلى عَمَلِك.»



رَفَعَ الرَّاهِبُ العَجوزُ رَأْسَهُ عَنِ الطَّاوِلَةِ، فَبَدَتْ تَجاعيدُ وَجْهِهِ واضِحَةً.

اِبْتَسَمَ لِلصَّغيرَيْنِ، وَقالَ لَهُما بِصَوْتٍ ضَعيفٍ مُرْتَجِفٍ: «أَهْلًا بِكُما!»

سَلَّمَ عَلَيْهِ الأَخَوانِ الصَّغيرانِ بِكُلِّ احْتِرام.

أَراهُما الأَخُ مايْكِل غِلافَ كِتابِهِ، المُزَيَّنَ بِجواهِرَ حَمْراءَ وَزَرْقاءَ بَرّاقَةٍ لامِعَة.

ثُمَّ بَدَأَ يَقْلِبُ الصَّفَحاتِ، الَّتي كانَتْ كُلٌّ مِنْها مُغَطّاةً بِكِتاباتٍ أَنيقَةٍ وَرُسومٍ دَقيقَةٍ بِالأَخْضَرِ وَالأَزْرَقِ وَالذَّهَبِيّ.

قالَتْ عُلا: « لَيْتَني أَعْرِفُ كَيْفَ أَرْسُمُ هكَذا!»

وَقالَ شادي، هامِسًا: «إِنَّها راااائِعَة!»

بَعْدَما شَكَرَهُما الرّاهِبُ العَجوزُ عَلى كَلِماتِهِما الرَّقيقَةِ، سَأَلَتْهُ عُلا: «كَيْفَ تُعِدُّ كِتابًا كَهذا؟»

– أَكْتُبُ عَلى جِلْدِ الأَغْنامِ بِريشِ الإِوَزِّ، وَأَرْسُمُ بِدُهونٍ مَصْنوعَةٍ مِنَ التُّرابِ وَالنَّباتات.

– يايْ!

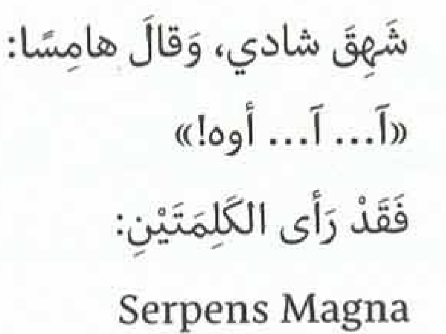
قالَ الأَخُ باتْرِك لِلأَخَوَيْنِ: «أَرِيا مايْكِل ما الَّذي تَسْعَيانِ إِلَيْه.»

أَخْرَجَ شادي قُصاصَةَ الوَرَقِ الَّتي أَعْطَتْهُما إِيّاها مُرْجانَة، وَوَضَعَها أَمامَ الرّاهِبِ العَجوزِ... مُشيرًا إِلى الكَلِمَتَيْنِ اللّاتينِيَّتَيْن.

هَزَّ الأَخُ مايْكِل رَأْسَهُ، قائِلًا: «نَعَمْ، أَعْرِفُ هذا الأَمْرَ جَيِّدًا.»

ثُمَّ قَلَّبَ صَفَحاتِ كِتابِهِ إِلى تِلْكَ الَّتي كانَ يَرْسُمُ إِطارًا أَزْرَقَ حَوْلَها... وَأَشارَ إِلى أَعْلى الصَّفْحَة.





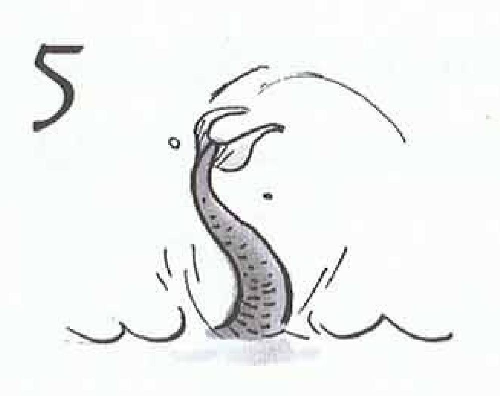
شَهِقَ شادي، وَقالَ هامِسًا:

«آ... آ... أوه!»

فَقَدْ رَأى الكَلِمَتَيْنِ:

Serpens Magna

5



سُفُنٌ حَرْبِيَّةٌ في الأُفُق

صاحَ شادي: «وَجَدْنا قِصَّتَنا!»

وَصاحَتْ عُلا: «يايْ!»

فَقالَ الأَخُ پاتْرِك: «صَحيح. لكِنْ لِلْأَسَفِ، لَمْ يُنْهِ الأَخُ مايْكِل عَمَلَهُ بَعْد. يَجِبُ أَنْ تَعودا لاحِقًا لِأَخْذِه!»

قالَتْ عُلا مُسْتاءَةً: «يَخْ!»

شَعَرَ شادي بِخَيْبَةِ أَمَلٍ مُماثِلَةٍ، وَقالَ: «لا أَدْري إِنْ كانَ في مَقْدورِنا أَنْ نَعودَ مَرَّةً أُخْرى!»

وَقالَتْ عُلا: «لا أَدري أَيْضًا إِنْ كُنَّا نَسْتَطيعُ أَنْ نُغادِرَ مِنْ دونِ القِصَّة!»

بَدَتِ الحَيْرَةُ عَلى وَجْهِ الأَخِ پاتْرِك.

نَظَرَ كُلٌّ مِنَ الأَخَوَيْنِ إلى الآخَرِ، ثُمَّ نَظَرا مَعًا إلى الأَخِ باتْرِك. فَمِنَ الصَّعْبِ جِدًّا شَرْحُ قَضِيَّةِ العِزْزالِ، وَكَيْفِيَّةِ عَمَلِهِ السِّحْرِيّ.

هَزَّ شادي كَتِفَيْهِ، وَقالَ: «عَلَيْنا أَنْ نُحاوِلَ!»

في الخارِجِ، بَدَأَ جَرَسُ الكَنيسَةِ يَدُقّ. فَقالَ الأَخُ باتْرِك: «إِنَّهُ وَقْتُ صَلاتِنا الصَّباحِيَّة. فَهَلْ تَوَدّانِ الانْضِمامَ إِلَيْنا؟»

قالَ شادي: «شُكْرًا، لكِنَّ الأَفْضَلَ لَنا الآنَ أَنْ نُحاوِلَ العَوْدَة.»

هَزَّ الرّاهِبُ رَأْسَهُ مُتَفَهِّمًا، وَأَوْصَلَهُما إلى الحَديقَة.

وَعِنْدَما فَتَحَ البَوّابَة، وَقَفَ الجَميعُ صامِتين.

كانَ الأُفُقُ مُتَوَهِّجًا بِاللَّوْنَيْنِ الوَرْدِيِّ وَالأُرْجُوانِيِّ، فيما بَدَأَتِ الشَّمْسُ تُشْرِق.

لَمْ يَقُلْ أَيٌّ مِنْهُما شَيْئًا، فيما كانَتْ تِلْكَ الكُرَةُ النّارِيَّةُ العَظيمَةُ تَرْتَفِعُ بِبُطْءٍ فَوْقَ المُحيط.

أَخيرًا، قَطَعَ الأَخُ باتْرِك حَبْلَ الصَّمْتِ، قائِلًا بِصَوْتٍ شاعِرِيٍّ رَقيقٍ: «تَأَلَّقْ، يا ضَوْءَ الشَّمْسِ، في هذا اليَوْمِ المَليءِ بِالأَعاجيب!»

فَقالَتْ لَهُ عُلا: «كَلامٌ جَميلٌ رائِع!»

وَابْتَسَمَ شادي مُوافِقًا.

اِلْتَفَتَ نَحْوَهُما الأَخُ باتْرِك، وَقالَ: «إِنَّ مَناظِرَ كَهذِهِ هِيَ الَّتي تُلْهِمُنا لِتَأْليفِ الكُتُب. الآنَ اِذْهَبا، وَكونا حَذِرَيْنِ جِدًّا في رِحْلَةِ عَوْدَتِكُما».

شَكَرَهُ الأَخَوانِ الصَّغيران.

«هَلْ تُريدانِ أَنْ أُوَجِّهَ لَكُما قارِبَكُما؟»

فَقالَ شادي مُتَلَعْثِمًا: «لا... لا، شُكْرًا!»

– اِتْبَعا الطَّريقَ التُّرابِيَّةَ عَلى قِمَّةِ الجُرْف، ثُمَّ اسْتَخْدِما حَبْلي لِمُساعَدَتِكُما عَلى نُزولِ الدَّرَج.

شَكَرَتْهُ عُلا، وَوَدَّعَتْهُ، ثُمَّ خَرَجَتْ مِنَ البَوّابَة.

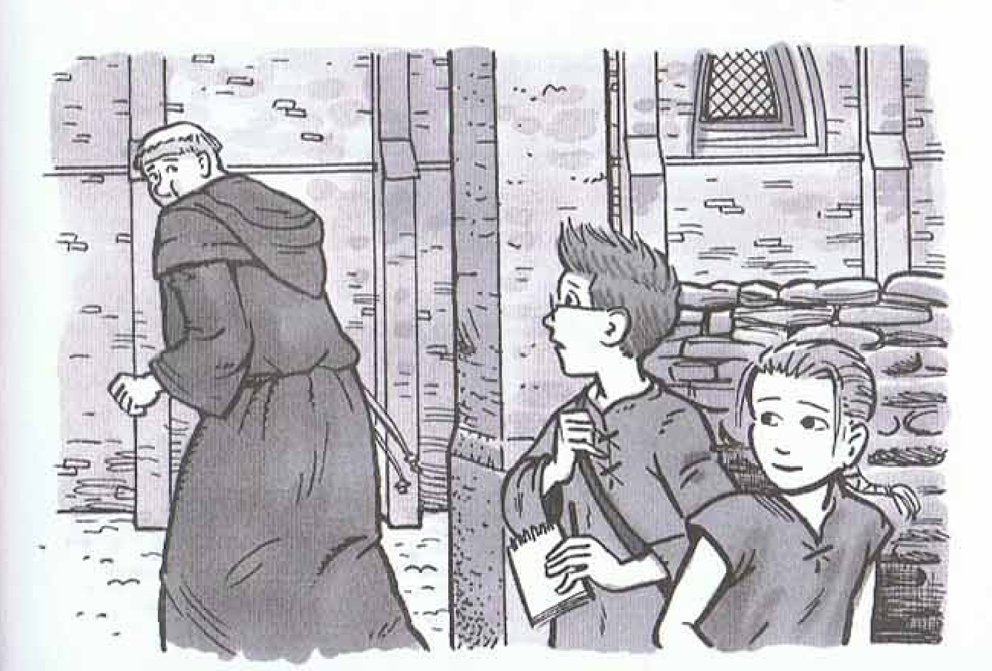
أَرادَ شادي العَوْدَةَ إلى بَيْتِهِ، لكِنَّهُ لَمْ يَرْغَبْ في مُغادَرَةِ الدَّيْرِ... المَليءِ بِأُناسٍ يَقومونَ بِالأَمْرَيْنِ المُفَضَّلَيْنِ لَدَيْهِ: القِراءَةِ وَالتَّعَلُّم.

قالَ لِلأَخِ باتْرِك: «إِنَّني فِعْلًا أُحِبُّ هَذا المَكان.»

فَأَجابَهُ الرَّاهِبُ: «يُسْعِدُني ذلِك. لكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ الآنَ، فيما الجَوُّ مُلائِمٌ لَكُما. فَكُلُّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ في لَحْظَةٍ واحِدَة!»

ثُمَّ اسْتَدارَ الأَخُ باتْرِك، وَدَخَلَ إلى الكَنيسَة.

أَسْرَعَ شادي نَحْوَ البَوَّابَة. لكِنْ قَبْلَ مُتابَعَةِ طَريقِهِ، تَوَقَّفَ وَأَخْرَجَ دَفْتَرَ مُلاحَظاتِه.



وَبِسُرْعَةٍ، وَضَعَ قائِمَتَيْنِ:

صُنْعُ كِتابٍ:
جِلْدُ أَغْنامٍ
ريشُ إِوَزٍّ
دُهونٌ

صُنْعُ دُهونٍ:
تُرابٌ
نَباتاتٌ

صاحَتْ بِهِ عُلا مِنْ أَعْلى الدَّرَجاتِ: «هَيَّا، يا بَطيء!»

فَرَدَّ عَلَيْها أَنَّهُ آتٍ. ثُمَّ أَعادَ دَفْتَرَهُ إلى كيسِهِ، وَرَكَضَ إلى حافَّةِ الجُرْف.

فَوْقَهُما، كانَتْ أَسْرابٌ مِنْ طُيورِ النَّوْرَسِ تُحَلِّقُ دائِرِيًّا في الفَضاءِ الأُرْجُوانِيِّ... مُطْلِقَةً أَصْواتًا كَالزَّعيق.

تَساءَلَ شادي: «ما الَّذي يُزْعِجُها إلى هذا الحَدّ؟»

فَقالَتْ لَهُ عُلا: «رُبَّما تَتَصَرَّفُ هكَذا عِنْدَ شُروقِ الشَّمْس. سَأَنْزِلُ قَبْلَك!»

أَمْسَكَتْ بِالحَبْلِ، وَبَدَأَتْ تَنْزِلُ دَرَجَةً دَرَجَة.

نَزَلَ شادي وَراءَ أُخْتِهِ، قَلِقًا مِنْ زَعيقِ الطُّيورِ... الَّذي بَدا كَتَحْذيرٍ مِنْ أَمْرٍ خَطير!

وَصَلَ إلى الحافَّةِ الصَّخْرِيَّةِ، فَسَمِعَ عُلا تُناديهِ مِنَ العِرْزالِ:

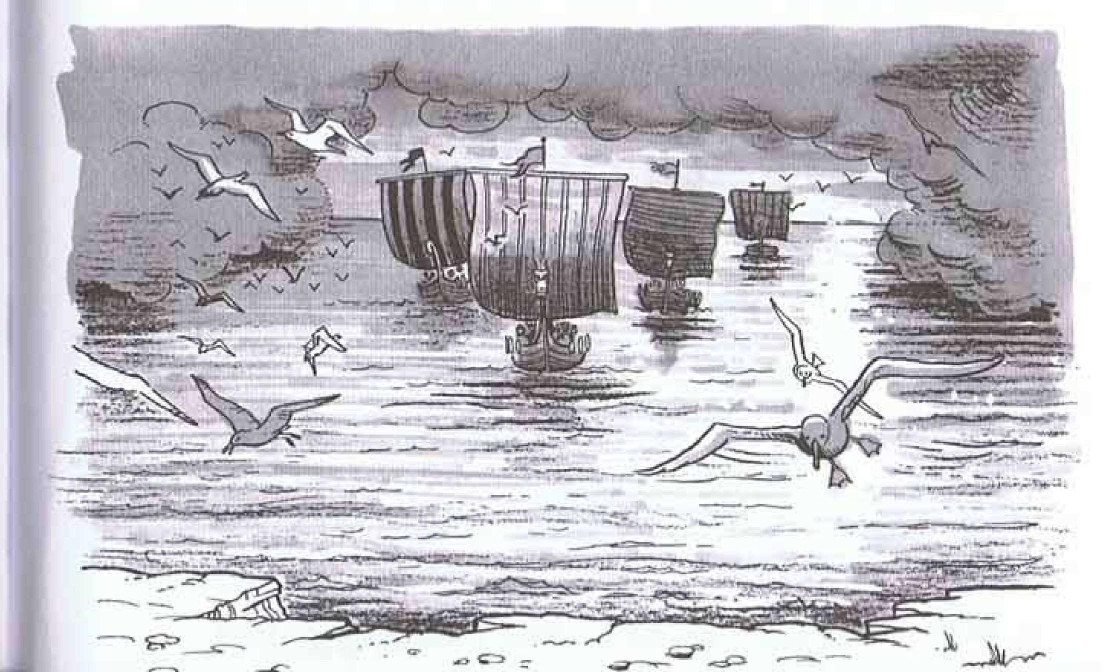
«هَيَّا، يا شَدْشود!»

نَظَرَ شادي نَظْرَةً أَخيرَةً إلى الأُفُقِ... مُوَدِّعًا. لكِنْ، في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، كادَ قَلْبُهُ يَتَوَقَّفُ عَنِ الخَفَقان.

لَقَدْ رَأى سَفينَةً كَبيرَةً، وَوَراءَها سَفينَتانِ صَغيرَتان.

ما إنِ اقْتَرَبَتِ السُّفُنُ قَليلًا، حَتَّى لَمَعَتْ مُقَدِّماتُها الأُفْعُوانِيَّةُ في ضَوْءِ الشَّمْس.

– أوه، أوه! إنَّهُمُ الڤايْكِنْج!



6



الڤايْكِنْج آتون!

صاحَ شادي: «عُلا! عُلا! الڤايْكِنْج!»

اِلْتَفَتَتْ عُلا مِنْ نافِذَةِ العِرْزالِ، فَرَأَتِ السُّفُنَ الثَّلاث.

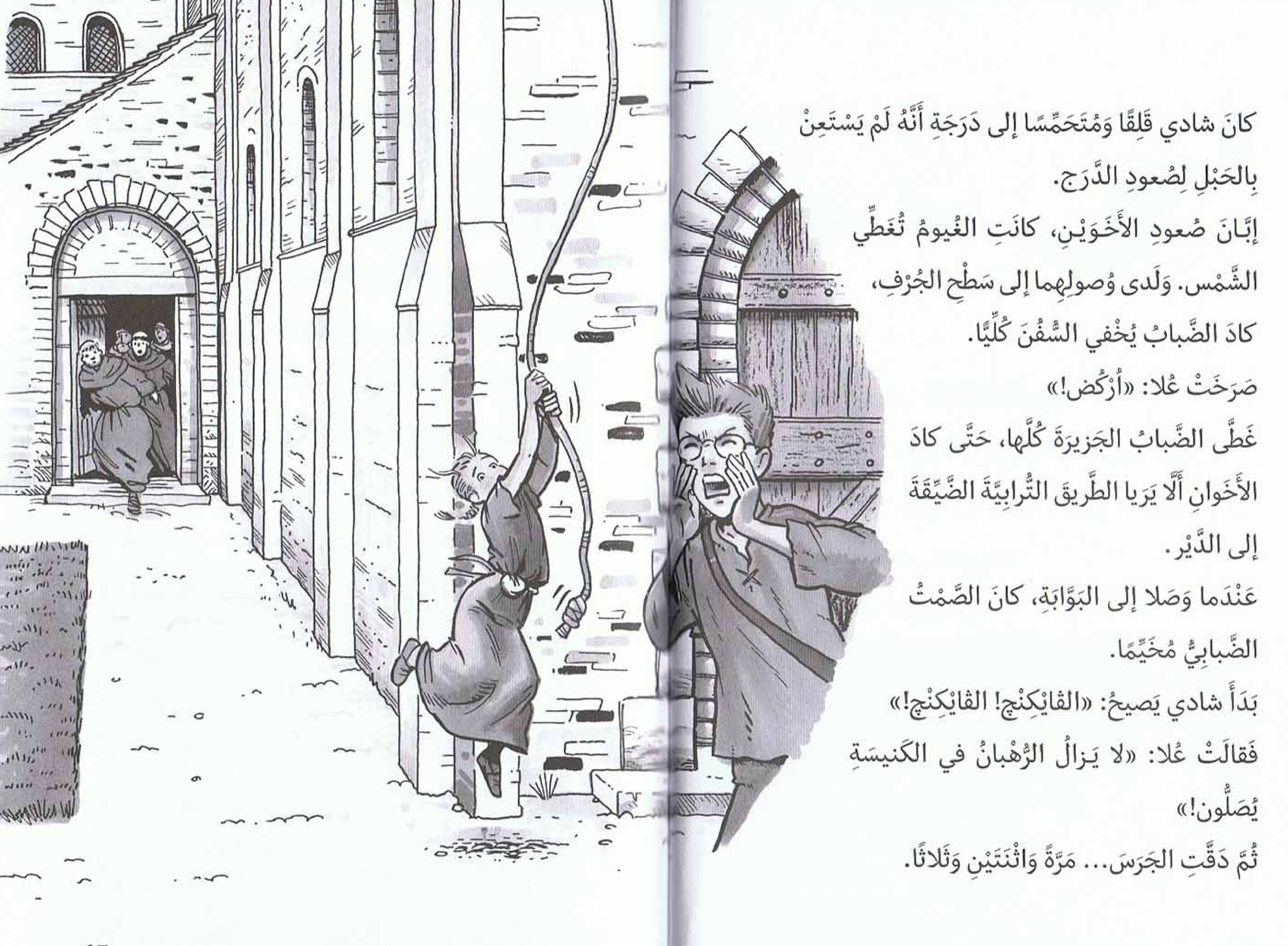
اِسْتَدارَ شادي نَحْوَ الدَّرَجاتِ الحَجَرِيَّةِ قائِلًا: «إنَّهُمْ يَتَّجِهونَ مُباشَرَةً إلى الجَزيرَة!»

– إلى أَيْنَ أَنْتَ ذاهِبٌ الآنَ؟

– يَجِبُ أَنْ أُنْذِرَ الرُّهْبان!

فَصاحَتْ عُلا، وَهِيَ تَخْرُجُ مِنَ العِرْزالِ: «اِنْتَظِرْني. أَنا آتِيَةٌ أَيْضًا!»

– أَسْرِعي إذَن!



كانَ شادي قَلِقًا وَمُتَحَمِّسًا إلى دَرَجَةِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعِنْ بِالحَبْلِ لِصُعودِ الدَّرَج.

إبَّانَ صُعودِ الأَخَوَيْنِ، كانَتِ الغُيومُ تُغَطّي الشَّمْس. وَلَدى وُصولِهِما إلى سَطْحِ الجُرْفِ، كادَ الضَّبابُ يُخْفي السُّفُنَ كُلِّيًا.

صَرَخَتْ عُلا: «أُرْكُض!»

غَطّى الضَّبابُ الجَزيرَةَ كُلَّها، حَتّى كادَ الأَخَوانِ أَلّا يَرَيا الطَّريقَ التُّرابِيَّةَ الضَّيِّقَةَ إلى الدَّيْر.

عَنْدَما وَصَلا إلى البَوّابَةِ، كانَ الصَّمْتُ الضَّبابِيُّ مُخَيِّمًا.

بَدَأَ شادي يَصيحُ: «الفايْكِنْج! الفايْكِنْج!»

فَقالَتْ عُلا: «لا يَزالُ الرُّهْبانُ في الكَنيسَةِ يُصَلّون!»

ثُمَّ دَقَّتِ الجَرَسَ... مَرَّةً وَاثْنَتَيْنِ وَثَلاثًا.

عِنْدَما هُرِعَ الأَخُ باتْرِك وَالرُّهْبانُ الآخَرونَ إلى الخارِجِ، صاحَ شادي: «الڤايْكِنْچ آتون!»

اِبْيَضَّ وَجْهُ الأَخِ باتْرِك المُحْمَرُّ، وَطالَبَ الرُّهْبانَ الآخَرينَ بالإسْراعِ... قائِلًا: «اِجْمَعوا الكُتُبَ، وَاخْتَبِئوا!»

فيما أَسْرَعَ الرُّهْبانُ إلى المَكْتَبَةِ، اِلْتَفَتَ الأَخُ باتْرِك إلى عُلا وَشادي... قائِلًا: «لَدَيْنا مَخْبَأٌ سِرِّيٌّ، هُوَ كَهْفٌ في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الجَزيرَة. يُمْكِنُكُما المَجيءُ مَعَنا، لكِنَّني لَسْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّكُما سَتَكونانِ آمِنَيْنِ هُناك».

قالَ لَهُ شادي: «لا تَقْلَقْ! سَنُحاوِلُ الذَّهابَ إلى دِيارِنا.»

– لا تَسْتَعْمِلا الدَّرَجَ، لِأَنَّ الڤايْكِنْچ سَيَسْتَعْمِلونَهُ لِلصُّعودِ إلى هُنَا!

سَأَلَهُ شادي: «كَيْفَ سَنَنْزِلُ إِذَن؟»

أَشارَ الأَخُ باتْرِك إلى إِحْدى الجِهاتِ قائِلًا: «اِذْهَبا في ذاكَ الاتِّجاه. وَعِنْدَ حافَّةِ الجُرْفِ، تَجِدانِ صَخْرَتَيْنِ

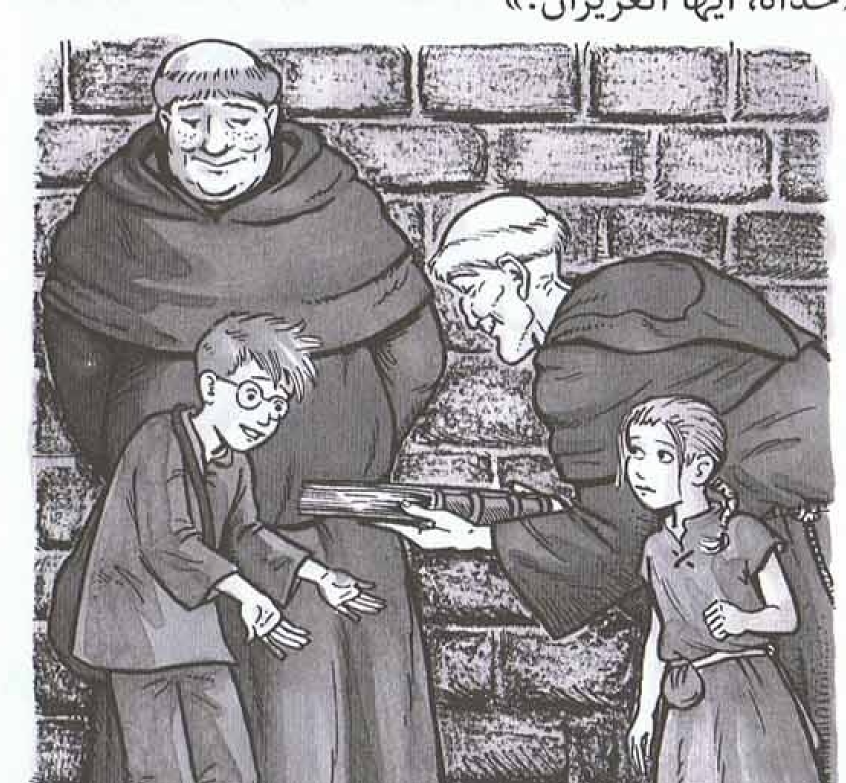
ضَخْمَتَيْنِ... بَيْنَهُما مَعْبَرٌ يُوصِلُكُما إلى الشَّاطِئ. مِنْ هُناك، يُمْكِنُكُما السَّيْرُ إلى قارِبِكُما».

شَكَرَتْهُ عُلا، فَقالَ لَها وَلِأَخيها... قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ مُسْرِعًا إلى المَكْتَبَةِ: «أَرْجوكُما أَنْ تَتَوَخَّيا أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الحَذَر».

فيما اسْتَدارَ الأَخَوانِ لِيَنْطَلِقا بِسُرْعَةٍ، سَمِعا صَوْتًا ضَعيفًا يُطالِبُهُما بِالانْتِظارِ قَليلًا.

إِنَّهُ الأَخُ مايْكِل، الَّذي يَلْحَقُ بِهِما عَرَجًا... وَهُوَ يَحْمِلُ كِتابَهُ عَنِ الحِكاياتِ الإيرْلَنْدِيَّة.

«خُذاهُ، أَيُّها العَزيزان.»



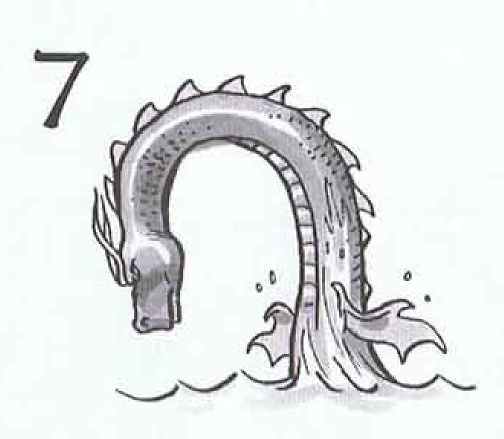
سَأَلَهُ شادي، الَّذي يَعْلَمُ أَنَّ الأَخَ مايْكل أَمْضى حَياتَهُ في إعْدادِ هذا الكِتابِ: «هَلْ أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ مِنْ ذلِك؟»

– أَرْجوكُما. مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ يَجِدَ العالَمُ بَعْضَ ما في هذا الكِتابِ، مِنْ أَلَّا يَجِدَهُ أَبَدًا... في حالِ اكْتُشِفَ مَخْبَأُنا!

وَضَعَ شادي الكِتابَ ذا الغِلافِ المُرَصَّعِ في كيسِهِ الجِلْدِيِّ بِعِنايَةٍ شَديدَةٍ، قائِلًا: «سَنُحافِظُ عَلَيْهِ حِفاظَنا عَلى حَياتِنا.»

بَعْدَ أَنْ تَمَنّى الأَخَوانِ لِلرُّهْبانِ كُلَّ التَّوْفيقِ، رَكَضا نَحْوَ الصَّخْرَتَيْنِ اللَّتَيْنِ حَدَّثَهُما عَنْهُما الأَخُ باتْرِك.

7



إلى الضَّباب

عَلى الصُّخورِ، كانَتْ طُيورُ النَّوْرَسِ ما زالَتْ تَزْعَق.

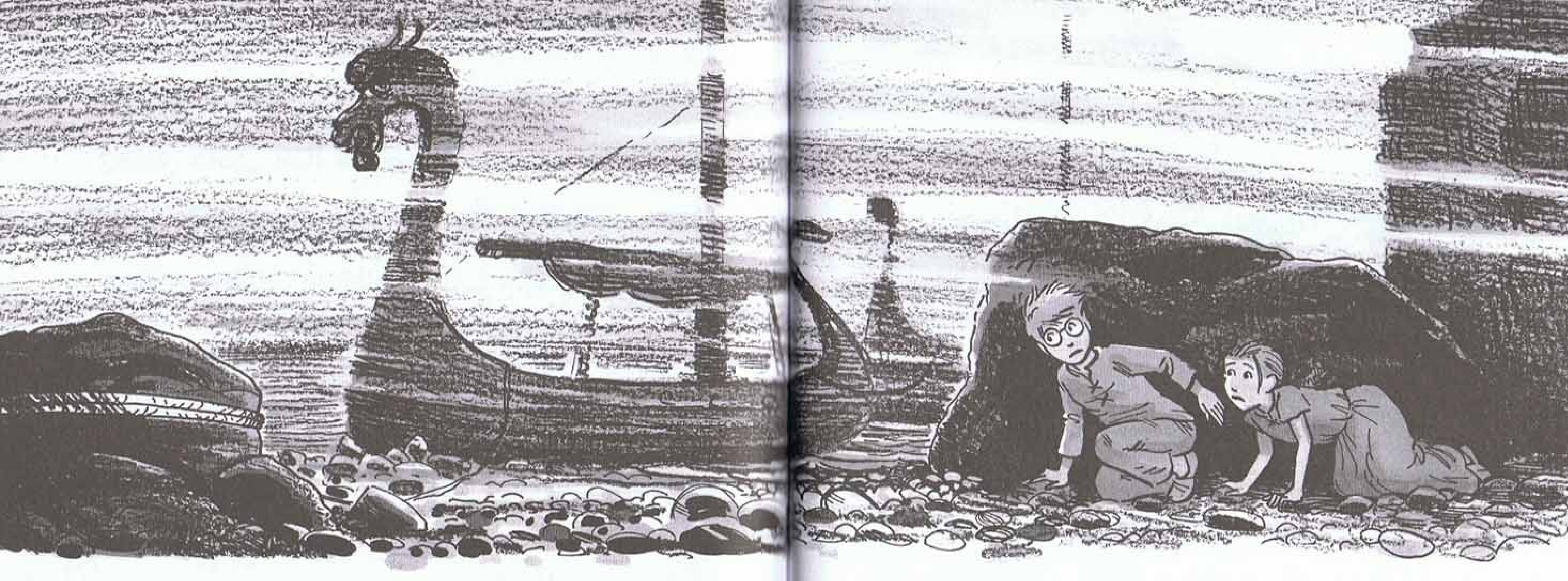
وَكانَ شادي لا يَرى إلَّا بِصُعوبَةٍ، ذاكَ المَسارَ المُنْحَدِرَ نَحْوَ الضَّباب.

قالَ لِأُخْتِهِ هامِسًا: «لا تُسْرِعي!»

اِنْزَلَقَتْ عُلا، وَوَقَعَتْ... مُرْتَطِمَةً بِشادي.

– أُووويْس! عَلِقَتْ قَدَمي بِفُسْتاني وَ...

طَلَبَ مِنْها شادي هامِسًا أَنْ تَصْمُتَ، وَأَصْغى الاِثْنانِ إلى تَدَحْرُجِ الحِجارَةِ وَالحَصى عَلى حافَّةِ الجُرْف.



تَنَفَّسَ شادي تَنَفُّسًا شَديدًا، وَقالَ هامِسًا: «يَجِبُ أَنْ نَحْتَرِسَ أَيْضًا مِنَ الڤايْكِنْچ.»

عاوَدَ الأَخَوانِ نُزولَهُما عَلى ذٰلِكَ المَمَرِّ الانْحِدارِيِّ، خُطْوَةً خُطْوَةً... فيما يَتَزايَدُ صَوْتُ الأَمْواجِ المُرْتَطِمَةِ بِالصُّخور.

أَخيرًا، وَصَلا إِلى مَكانٍ مُنْبَسِطٍ، مُغَطًّى بِالحَصى.

سَأَلَتْ عُلا أَخاها بِصَوْتٍ خافِتٍ: «أَيْنَ نَحْنُ الآنَ، يا شَدْشود؟»

– لا أَعْرِف!

– أُنْظُرْ!

كانَتْ عُلا تُشيرُ إِلى الشّاطِئِ، حَيْثُ رَأى الصَّغيرانِ مِنْ خِلالِ الضَّبابِ تِلْكَ المُقَدِّماتِ الأُفْعُوانِيَّةَ لِسُفُنِ الڤايْكِنْچ.

تَسَلَّلَ شادي وَعُلا بِحَذَرٍ شَديدٍ نَحْوَ السُّفُن.

كانَتْ كُلٌّ مِنْها مُنْزَلَةَ الأَشْرِعَةِ، وَمَرْبوطَةً بِصَخْرَةٍ مُسَنَّنَةٍ عالِيَة.

وَبَدَتِ السُّفُنُ المُتَمايِلَةُ في المِياهِ الضَّحْلَةِ مَهْجورَةً مِنْ بَحّارَتِها.

تَحَمَّسَ شادي كَثيرًا لِتَفَحُّصِ السُّفُنِ مِنْ داخِلِها، لكِنَّهُ خافَ مِنْ إضاعَةِ وَقْتٍ ثَمينٍ لِلْهَرَب.

– عَلَيْنا، يا عَلُّولا، إيجادُ العِزْزالِ بِأَسْرَعِ وَقْتٍ مُمْكِن!

تَسَلَّلا بَعيدًا عَنِ السُّفُنِ، وَاسْتَدارا بِاتِّجاهِ العِزْزال.

فَجْأَةً، تَجَمَّدا في مَكانَيْهِما.



مِنْ خِلالِ الضَّبابِ الخَفيفِ، شاهَدَ الأَخَوانِ مَجْموعَةً مِنْ مُحارِبي الفايْكِنْج يَنْظُرونَ إلى شَيْءٍ ما عَلى سَطْحِ الجُرْف. كانوا مُلْتَحينَ، وَكانَتْ شُعورُهُمْ طَويلَةً وَمُتَدَلِّيَةً مِنْ تَحْتِ خُوَذِهِمْ... وَيَحْمِلونَ دُروعًا خَشَبِيَّةً مُسْتَديرَةً، وَسُيوفًا، وَفُؤوسًا.

هَمَسَتْ عُلا في أُذُنِ أَخيها قائِلَةً: «يَبْدو أَنَّهُمْ يَعْتَزِمونَ تَسَلُّقَ الجُرْف.»

أَجابَها شادي هامِسًا: «يَجِبُ أَنْ نَخْتَبِئَ إلى حينِ ذَهابِهِمْ، ثُمَّ نَبْحَثُ عَنِ العِزْزال.»

فَقالَتْ عُلا: «يُمْكِنُنا الاخْتِباءُ في إحْدى السُّفُن!»

– فِكْرَةٌ مُمْتازَة.

زَحَفَ الأَخَوانِ عائِدَيْنِ نَحْوَ السُّفُن. وَسُرَّ شادي كَثيرًا لِكَوْنِ جانِبَيِ السَّفينَةِ الصُّغرى مُنْخَفِضَيْنِ جِدًّا... بِحَيْثُ يَسْهُلُ التَّسَلُّقُ فَوْقَهُما.

لِلْمَرَّةِ الأُولى، طَلَبَتْ عُلا مِنْ أَخيها أَنْ يَنْطَلِقَ قَبْلَها.

خاضَ شادي المِياهَ الضَّحْلَةَ... البارِدَة.

وَصَلَ إلى السَّفينَةِ، وَأَمْسَكَ بِأَحَدِ جانِبَيْها... وَرَفَعَ نَفْسَهُ إلى مَتْنِها.

نَظَرَ إلى الشَّاطِئِ عَلى بُعْدِ عَشْرَةِ أَمْتارٍ، فَرَأى حَبْلَ المِرْساةِ مَشْدودًا جِدًّا... فيما كانَتْ مُقَدِّمَةُ السَّفينَةِ الأُفْعُوانِيَّةُ تَتَمايَلُ صُعودًا وَنُزولًا مَعَ الأَمْواج.

مَعَ الضَّبابِ وَحَرَكَةِ السَّفينَةِ، أَحَسَّ شادي كَأَنَّهُ في حُلم. وَلِلَحْظَةٍ، نَسِيَ خَوْفَهُ مِنَ الفايْكِنْج.

نادى أُخْتَهُ قائِلًا: «تَعالي، يا عَلُّولا. إنَّهُ لَشُعورٌ مُمْتِع!»

بَدَأَتْ عُلا تَخوضُ المِياهَ نَحْوَ السَّفينَة.

فَجْأَةً، اخْتَفَت.

– عُلا؟ عَلُّولا؟

بَـرَزَ رَأْسُها فَوْقَ الماءِ، وَصاحَتْ شاهِقَةً: «الْـ...الْمِياهُ عَميقَةٌ وَ... وَفُسْتاني... ثَقيلٌ جِدًّا!»

صاحَ بِها شادي: «اِسْتَخْدِمي الحَبْلَ... كَما فَعَلْنا عِنْدَ صُعودِ الدَّرَج!»

أَمْسَكَتْ عُلا الحَبْلَ المُمْتَدَّ مِنَ السَّفينَةِ إلى الشَّاطِئِ، وَبَدَأَتْ تَتَقَدَّمُ بِبُطْء.

صاحَ شادي ثانِيَةً: «تَمَسَّكي بِالحَبْلِ جَيِّدًا!»

– هذا... هذا ما... أَفْعَلُه!

عِنْدَما اقْتَرَبَتْ عُلا مِنَ السَّفينَةِ الصَّغيرَةِ، انْحَنى شادي فَوْقَ الحافَّةِ لِمُساعَدَتِها.

وَفيما كانَ يَرْفَعُها، مالَتِ السَّفينَةُ في ذلِكَ الاتِّجاه.

... ثُمَّ تَراخى الحَبْلُ، وَانْجَرَفَتْ سَفينَةُ الفايْكِنْج مَعَ التَّيَّارِ نَحْوَ عُرْضِ البَحْر.

8



ضائِعانِ في البَحْر

وَقعَتْ عُلا عَلى سَطْحِ السَّفينَة.

سَحَبَ شادي الحَبْلَ مِنَ الماءِ، فَكانَ آخِرُهُ ما زالَ مَعْقودًا كَأُنْشوطَة.

– ما الَّذي حَدَثَ، يا شادي؟

– إنَّنا مُنطَلِقانِ إلى عُرْضِ البَحْر. وَأَظُنُّ أَنَّ ما فَعَلْناهُ عَلى جانِبِ السَّفينَةِ أَدَّى إلى رَفْعِ الحَبْلِ مِنْ مَكانِهِ حَوْلَ الصَّخْرَة.

جَلَسَتْ عُلا، وَنَظَرَتْ إلى البَياضِ الضَّبابِيِّ الَّذي يُغَلِّفُ المِنْطَقَة. وَقالَتْ: «لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى الجَزيرَة.»

فَقالَ شادي: «لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى شَيْئًا!»

نَظَرَتْ عُلا إلى أَخيها، وَقالَتْ: «هَلْ تَظُنُّ أَنَّ هذِهِ... أَحْلَكُ أَوْقاتِنا؟»

– لا أَدْري. لَرُبَّما الكِتابُ يُساعِدُنا.

أَخْرَجَ شادي كِتابَ البَحْثِ، وَتَصَفَّحَهُ إلى أَنْ وَجَدَ صورَةَ سَفينَةٍ لِلڤايْكِنْج. فَقَرَأَ المَكْتوبَ تَحْتَها بِصَوْتٍ عالٍ:

كانَتْ سُفُنُ الڤايْكِنْج الحَرْبِيَّةُ أَفْضَلَ السُّفُنِ في عَصْرِها. عِنْدَما لا يَكونُ الهَواءُ قَوِيًّا بِما يَكْفي، يَنْزِلُ البَحّارَةُ الأَشْرِعَةَ وَيُجَذِّفونَ بِالمَجاذيف. في صُغْرى السُّفُنِ أَرْبَعَةُ جَذّافينَ، وَفي كُبْراها ما قَدْ يَصِلُ إلى اثْنَيْنِ وَثَلاثين. وَكانَ الجَذّافونَ يَجْلِسونَ عَلى صَناديقَ يَضَعونَ فيها أَمْتِعَتَهُم.

قَفَزَتْ عُلا، صائِحَةً: «عَظيم. هذِهِ لَيْسَتْ أَحْلَكَ أَوْقاتِنا!»

– لِماذا تَقولينَ ذلِكَ؟

فَقالَتْ: «ما زالَ هُناكَ أَمَلٌ لَنا. يُمْكِنُنا التَّجْذيفُ إلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الجَزيرَةِ، وَإيجادُ العِزْزال.»

– هَلْ أَنْتِ مَجْنونَة؟

– أَرْجوكَ، يا شَدْشود. أَلا يُمْكِنُنا، عَلى الأَقَلِّ، أَنْ نُحاوِلَ؟

أَمْسَكَتْ عُلا بِمِجْذافٍ، فَلَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ رَفْعِهِ إلّا بِشَقِّ النَّفْس.

فَقالَ لَها شادي: «اِنْسي المَوْضوعَ، يا عُلا. يَحتاجُ إبْحارُ هذا المَرْكَبِ إلى أَرْبَعَةِ جَذّافينَ كِبارٍ أَشِدّاء. أَنْتِ صَغيرَةٌ ضَعيفَة. وَأَنا، الأَكْبَرُ مِنْكِ، صَغيرٌ ضَعيف.»

– كَفى ثَرْثَرَةً! جِدْ لِنَفْسِكَ مِجْذافًا، وَهَيّا. سَنَجْلِسُ عَلى صُنْدوقَيْنِ، كُلٌّ مِنّا إلى جانِب.

تَأَفَّفَ شادي. لكِنَّ عُلا جَرَّتْ مِجْذافَها الطَّويلَ إلى أَحَدِ الصَّناديقِ، وَقالَتْ لاهِثَةً: «لَنْ أَفْعَلَ ذلِكَ بِمُفْرَدي!»

تَمْتَمَ شادي مُتَذَمِّرًا، ثُمَّ جَرَّ مِجْذافًا إلى صُنْدوقٍ مُقابِلَ صُنْدوقِ أُخْتِه.

فَتَحَتْ عُلا صُنْدوقَ الأَمْتِعَةِ، وَقالَتْ: «أوه، أُنْظُرْ! واحِدَةٌ لِكُلٍّ مِنّا!»

أَخْرَجَتِ اثْنَتَيْنِ مِنْ خُوَذِ الڤايْكِنْچ الصَّغيرَةِ قائِلَةً: «رُبَّما صُنِعَتْ هاتانِ الخوذَتانِ لِصَغيرَيْنِ مِنَ الڤايْكِنْچ يَنْتَقِلانِ في هذِهِ السَّفينَةِ أَحْيانًا».

– رُبَّما.

لَمْ يُفَكِّرْ شادي مِنْ قَبْلُ في الڤايْكِنْچ عَلى أَنَّهُمْ أُناسٌ حَقيقِيُّونَ، أُناسٌ لَهُمْ عائِلاتٌ وَأَطْفالٌ صِغار.

خَلَعَتْ عُلا وِشاحَها، وَوَضَعَتْ خوذَةً عَلى رَأْسِها.

– أَشْعُرُ الآنَ كَأَنَّني إِحْدى فَتَياتِ الڤايْكِنْچ، وَأَنَّ هذا الشُّعورَ سَيُساعِدُني عَلى التَّجْذيف.

أَعْطَتْ عُلا أَخاها الخوذَةَ الثّانِيَةَ. وَعِنْدَما وَضَعَها عَلى رَأْسِهِ، أَحَسَّ بِشُعورٍ مُخْتَلِفٍ قَليلًا.

لَمْ تَكُنِ الخوذَةُ ثَقيلَةً جِدًّا، كَتِلْكَ الَّتي لَبِسَها في زَمَنِ القِلاعِ وَالفُرْسان. لكِنَّها ما زالَتْ ثَقيلَة.

– لا أَدْري كَيْفَ أَشْعُر!

فَقالَتْ عُلا: «أَنا، بِخوذَتي، أَكْثَرُ شَجاعَةٍ مِنْ قَبْل!»

اِبْتَسَمَ شادي، إِذْ كَيْفَ تَسْتَطيعُ تِلْكَ الشُّجاعَةُ أَنْ تَكونَ... أَكْثَرَ شَجاعَةً.

– هَلْ أَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لِلتَّجْذيف؟

أَجابَها شادي بِالإيجابِ، وَهُوَ يَشْعُرُ أَيْضًا بِأَنَّهُ أَكْثَرُ شَجاعَةٍ مِنْ ذي قَبْل.

فيما كانَ شادي يَرْفَعُ مِجْذافَهُ الثَّقيلَ فَوْقَ جانِبِ السَّفينَةِ، اشْتَدَّ الهَواءُ فَجْأَةً.

خَفَضَهُ إِلى الماءِ، لكِنَّ التَّيّارَ كانَ قَوِيًّا جِدًّا... بِحَيْثُ انْتَزَعَ المِجْذافَ مِنْ يَدَيْه.

وَقَعَ شادي عَلى ظَهْرِهِ، وَانْجَرَفَ المِجْذافُ بَعيدًا.

صاحَتْ عُلا: «فَقَدْتُ مِجْذافي!»

نَظَرَ شادي إلى السَّماءِ المُتَّشِحَةِ بِالسَّوادِ، فيما بَدَأَ المَطَرُ يَهْطِل.

غَطَّتِ الأخَوَيْنِ دُفْعَةٌ مِنْ مِياهِ الأَمْواجِ المُرْتَفِعَة.

صَوْتُ الرَّعْدِ يَصُمُّ الآذانَ، وَضَوْءُ البَرْقِ المُبْهِرُ يَنْتَشِرُ في قَلْبِ السَّماء.

زَحَفَ شادي إلى جانِبِ السَّفينَةِ، وَرَفَعَ نَفْسَه.

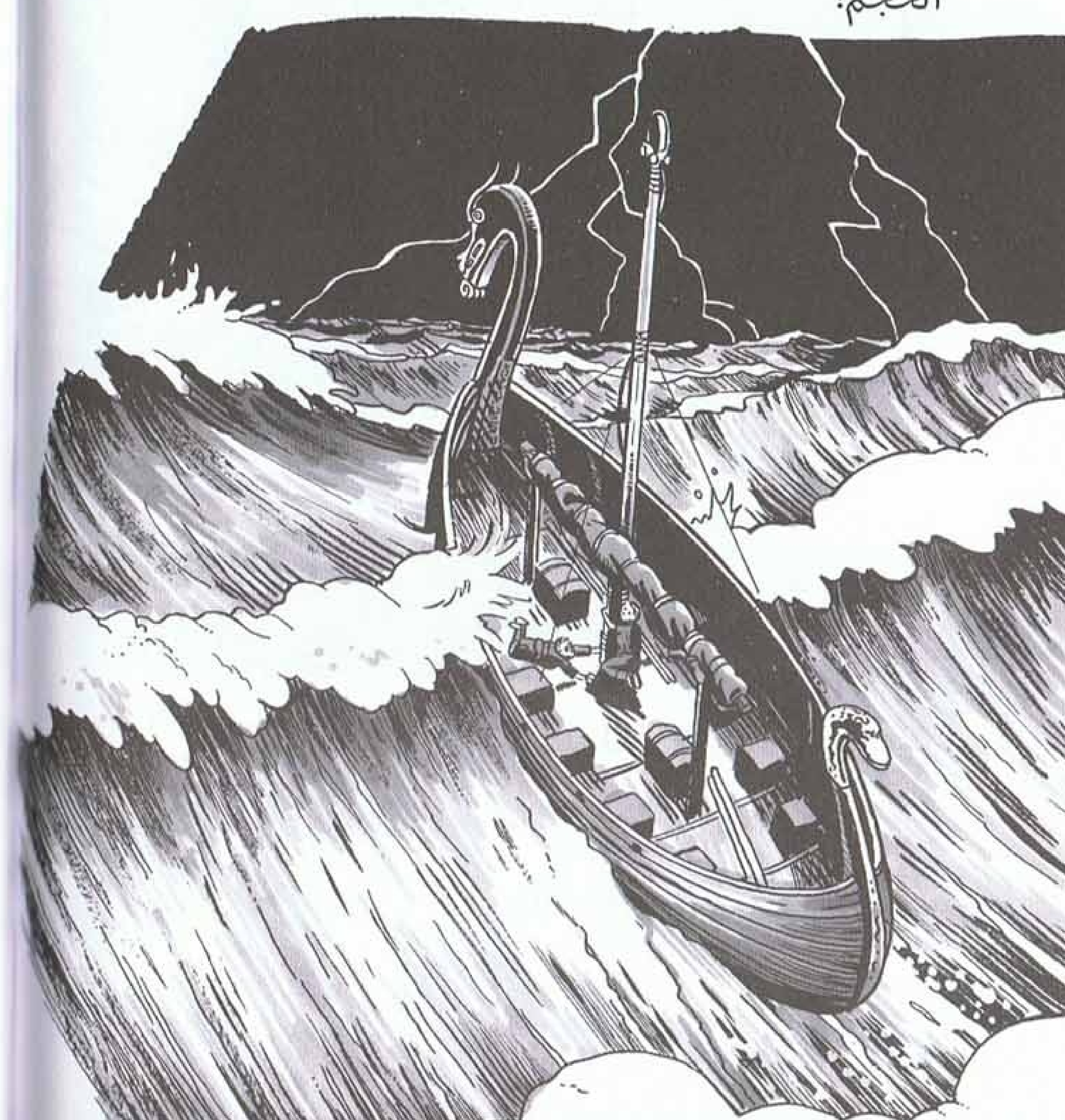
في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، بَدَتْ مَوْجَةٌ عارِمَةٌ تَتَّجِهُ نَحْوَ السَّفينَةِ الصَّغيرَة.

صاحَتْ عُلا: «هذِهِ هِيَ الآنَ أَحْلَكُ أَوْقاتِنا! أَحْضِرْ كِتابَ الأَخِ مايْكِل حالًا!»

أَخْرَجَ شادي الكِتابَ مِنْ كيسِهِ الجِلْدِيِّ، وَرَفَعَهُ صارِخًا: «أَنْقِذينا، أَيَّتُها القِصَّة!»

نَظَرَ إلى البَحْرِ مَرَّةً أُخْرى. وَما رَآهُ جَعَلَهُ يَصْرُخُ بِهَلَعٍ شَديد.

فَمِنْ تِلْكَ المَوْجَةِ العارِمَةِ الآتِيَةِ، بَرَزَ أُفْعُوانٌ بَحْرِيٌّ هائِلُ الحَجْمِ!



9

التِّنِّين

اِرْتَفَعَ رَأْسُ الأُفْعُوانِ فَوْقَ الماءِ أَكْثَرَ فَأَكْثَر.

تَجَمَّدَ شادي في مَكانِه. لَكِنَّ عُلا قالَتْ، باسِمَةً: «إِنَّهُ جَميل!»

– جَميل؟ هذا الوَحْشُ... جَميل؟

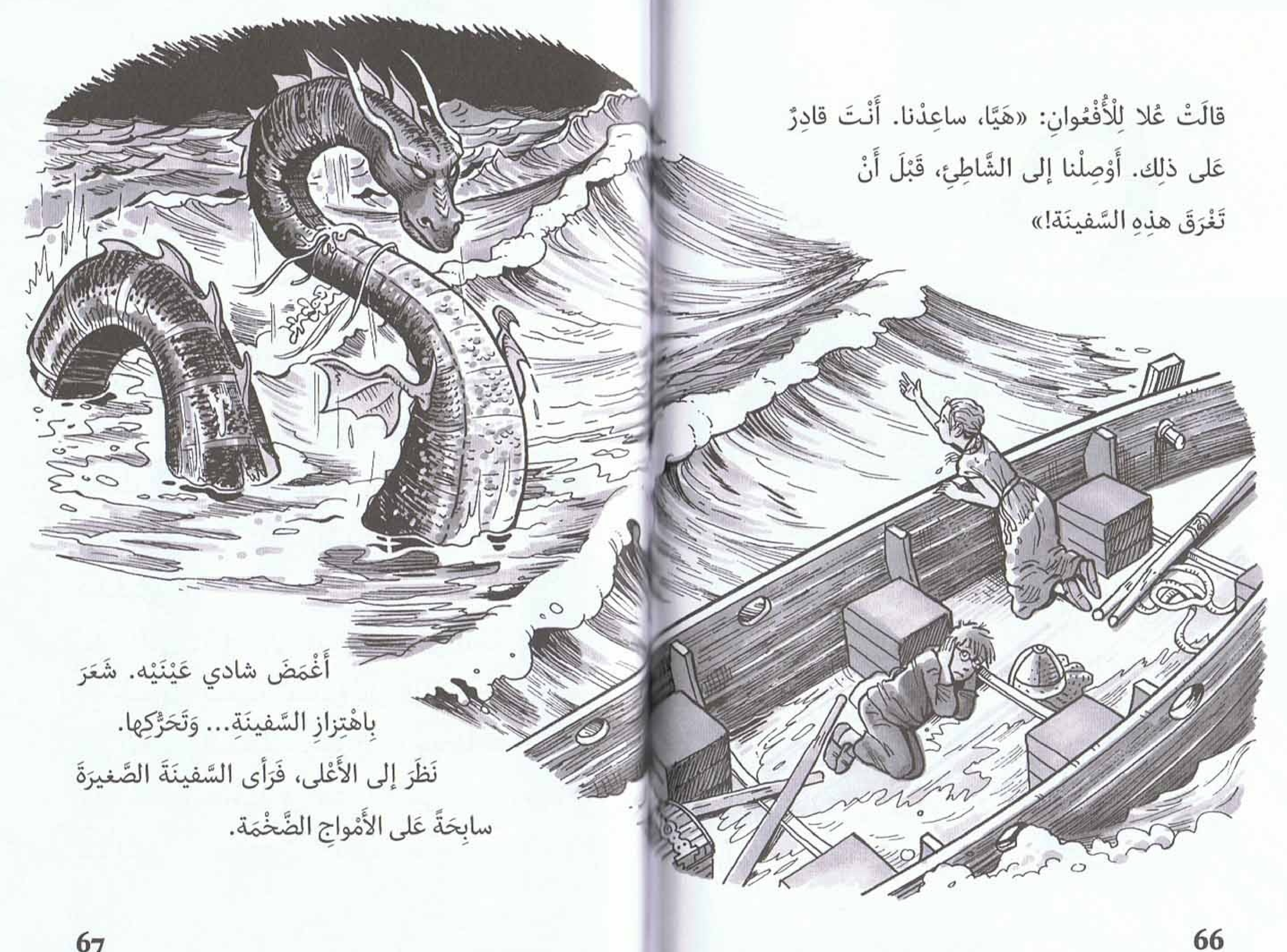
كانَ طولُ رَقَبَةِ الأُفْعُوانِ يُوازي ارْتِفاعَ طبَقَتَيْن. وكانَتْ حَراشِفُهُ الخَضْراءُ مُغَطَّاةً بِالوَحْلِ البَحْرِيّ.

صاحَ شادي: «اِبْتَعِدْ عَنَّا!»

لَكِنَّ عُلا صاحَتْ قائِلَةً: «لا – اِبْقَ! ساعِدْنا!»

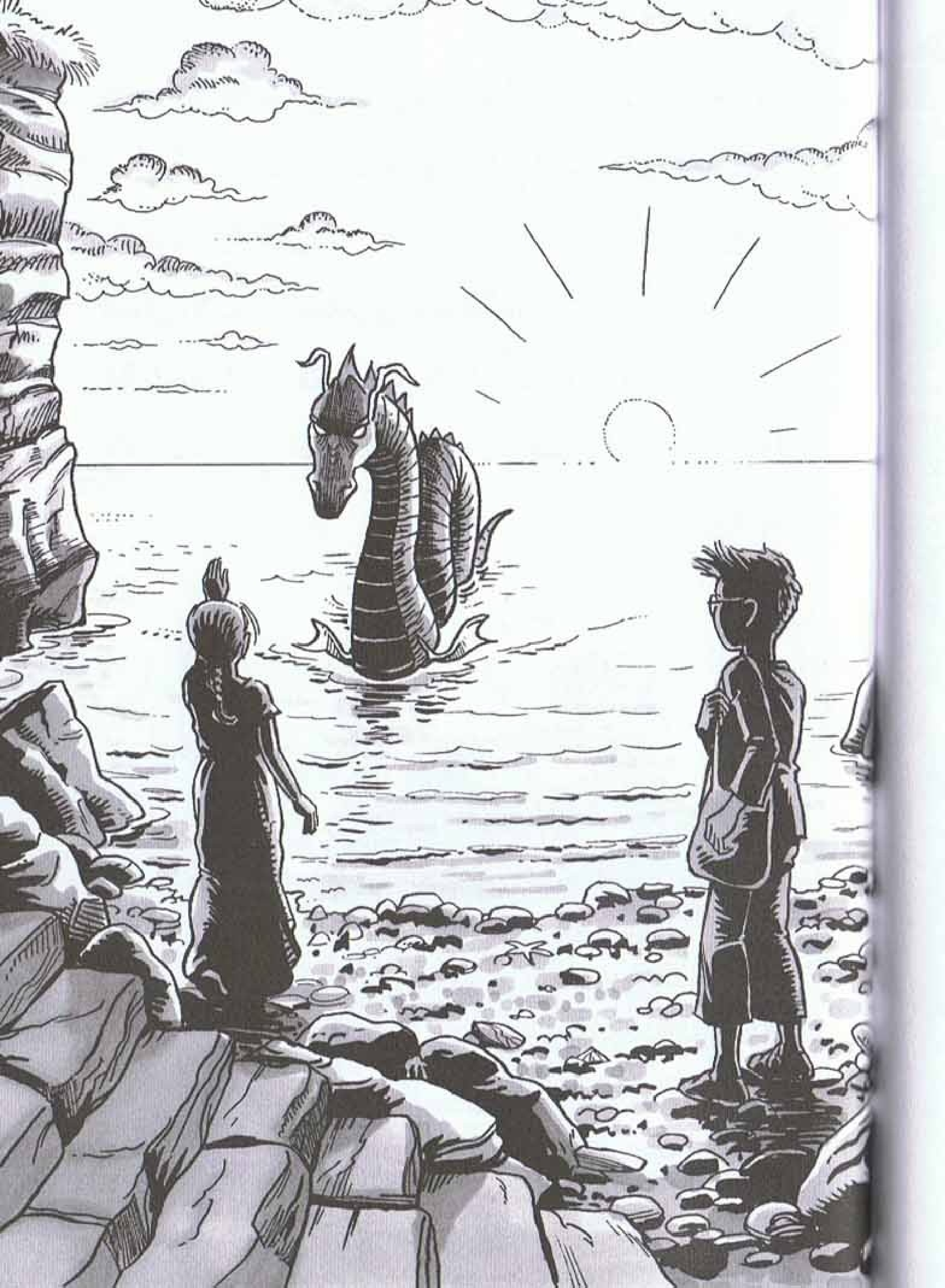
اِقْتَرَبَ الأُفْعُوانُ العِمْلاقُ مِنَ السَّفينَةِ، فَخَفَضَ شادي رَأْسَهُ تَفادِيًا لِما ظَنَّ أَنَّهُ خطَرٌ يَقْتَرِبُ مِنْهُما.

قالَتْ عُلا لِلْأُفْعُوانِ: «هَيَّا، ساعِدْنا. أَنْتَ قادِرٌ عَلى ذلِك. أَوْصِلْنا إلى الشَّاطِئِ، قَبْلَ أَنْ تَغْرَقَ هذِهِ السَّفينَةَ!»



أَغْمَضَ شادي عَيْنَيْه. شَعَرَ بِاهْتِزازِ السَّفينَةِ... وَتَحَرُّكِها.

نَظَرَ إلى الأَعْلى، فَرَأى السَّفينَةَ الصَّغيرَةَ سابِحَةً عَلى الأَمْواجِ الضَّخْمَة.



اِسْتَدارَ شادي، فَرَأى الأُفْعُوانَ العِمْلاقَ يَدْفَعُ السَّفينَةَ نَحْوَ الشّاطِئِ.

فيما كانَ الأُفْعُوانُ يُوصِلُهُما إلى بَرِّ الأمانِ، بَدَأَتِ الرِّيحُ تَهْدَأُ... وَالغُيومُ تَتَبَدَّدُ... وَالمِياهُ تَتَلَأْلَأُ تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْس.

اِقْتَرَبَتِ السَّفينَةُ مِنَ الشّاطِئِ، إلى حَدِّ أَنَّ شادي اسْتَطاعَ مُشاهَدَةَ العِزْزالِ عَلى تِلْكَ الحافَّةِ الصَّخْرِيَّة.

طالَبَتْ عُلا الأُفْعُوانَ بِالإِسْراعِ، فَدَفَعَ السَّفينَةَ دَفْعَةً قَوِيَّةً أَخيرَة. وَ... انْزَلَقَتِ السَّفينَةُ عَلى الشّاطِئِ الرَّمْلِيّ.

شْشْشْش!

أَعادَ شادي الكِتابَ إلى كيسِهِ... بِعِنايَةٍ فائِقَة. ثُمَّ نَزَلَ مَعَ أُخْتِهِ مِنَ السَّفينَةِ الصَّغيرَةِ عَلى الرَّمْلِ الرَّطِب.

كانَ الأُفْعُوانُ العِمْلاقُ يَتَراجَعُ إلى الوَراءِ بِرَقَبَتِهِ الطَّويلَةِ جِدًّا. وَبَدَتْ حَراشِفُهُ في ضَوْءِ الشَّمْسِ زَهْرِيَّةً وَخَضْراءَ مُتَلَأْلِئَة.

قالَتْ لَهُ عُلا بِأَعْلى صَوْتِها: «شُكْرًا جَزيلًا! إلى اللِّقاء!»
بَدا التِّنّينُ البَحْرِيُّ كَأَنَّهُ يَهُزُّ رَأْسَهُ مُحَيِّيًا، ثُمَّ غَطَسَ في البَحْرِ... وَاخْتَفى.

اِنْطَلَقَ الأَخَوانِ الصَّغيرانِ نَحْوَ الصُّخور.

فَجْأَةً، شَهِقَتْ عُلا... مُشيرَةً إلى أَعْلى الجُرْف.

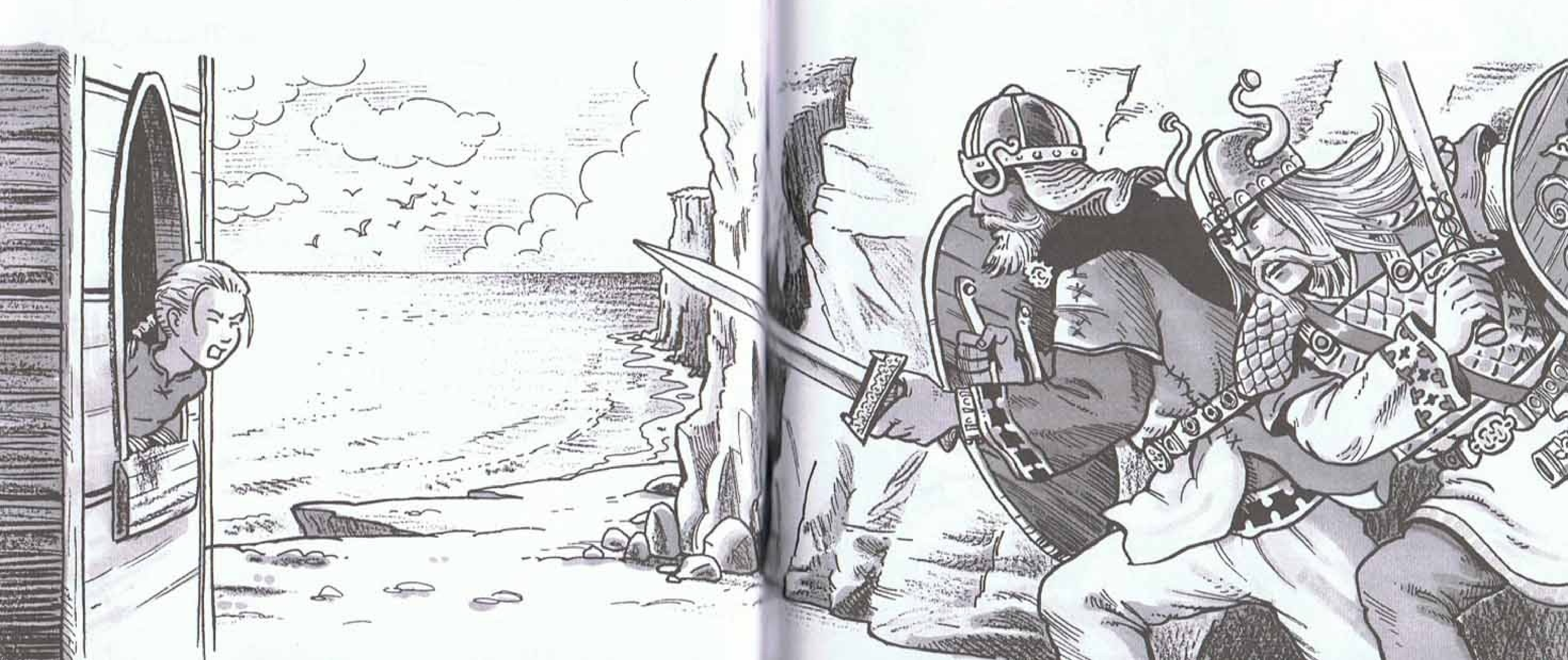
كانَ اثْنانِ مِنَ الفايْكِنْج يُحَدِّقانِ إِلَيْهِما.

صاحَ شادي بِأُخْتِهِ قائِلًا: «إلى العِرْزالِ بِأَقْصى سُرْعَةٍ مُمْكِنَة!»

صاحَ بِهِما المُحارِبانِ مِنْ أَعْلى الجُرْفِ، وَبَدَآ يَنْزِلانِ بِسُرْعَةٍ عَلى ذلِكَ الدَّرَجِ الحَجَرِيِّ الضَّيِّق.

وَصَلَ الأَخَوانِ إلى تِلْكَ الحافَّةِ النَّاتِئَةِ، وَصَعِدا إلى العِرْزال.

أَخْرَجَ شادي بِسُرْعَةٍ كِتابَ بِلادِهِما، لِيُحاوِلَ تَمَنِّيَ العَوْدَةِ بِسَلام.



في ذلِكَ الوَقْتِ، كانَتْ عُلا تَمُدُّ رَأْسَها مِنَ النّافِذَةِ وَتَصيحُ بِالمُحارِبَيْنِ... اللَّذَيْنِ كادا يَصِلانِ إلى تِلْكَ الحافَّةِ الصَّخْرِيَّةِ: «اِذْهَبا إلى بِلادِكُما، وَتَوَقَّفا عَنْ إحْداثِ القَلاقِلِ وَالمَشاكِلِ!»

أَشارَ شادي إلى صورَةِ غابَةِ الشَّجْراءِ، وَقالَ بِصَوْتٍ عالٍ: «أَتَمَنّى أَنْ نَكونَ هُناكَ!»

ما إنْ وَصَلَ المُحارِبانِ الشَّرِسانِ إلى الحافَّةِ الصَّخْرِيَّةِ، حَتّى هَبَّتِ الرِّيح.

بَدَأَ العِزْزالُ يَدورُ بِسُرْعَةٍ... وَتَزْدادُ سُرْعَتُهُ أَكْثَرَ فَأَكْثَر! فَجْأَةً، هَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ... هُدوءًا تامًّا.

10



شُروقُ الشَّمْس

قالَتْ عُلا: «أوه، كَمْ أَنا سَعيدَةٌ بِالتَّخَلُّصِ مِنْ ذاكَ الفُسْتانِ الطَّويل!»

فَتَحَ شادي عَيْنَيْه.

شَعَرَ بِأَنَّهُ لا يَزالُ رَطِبًا، لكِنَّهُ كانَ سَعيدًا جِدًّا لِكَوْنِهِ الآنَ في ثِيابِهِ المُعْتادَة.

قالَتْ مُرْجانَة لِلْأَخَوَيْنِ الصَّغيرَيْنِ: «أَهْلًا بِعَوْدَتِكُما إلى دِيارِكُما. هَلْ أَنْتُما مُرْتاحان؟»

فَأَجابَتْ عُلا بِسَعادَةٍ: «طَبْعًا!»

وَقالَ شادي: «أَحْضَرْنا لَكِ الكِتابَ المَفْقود.»

مَدَّ يَدَهُ إلى حَقيبَةِ ظَهْرِهِ، وَأَخْرَجَ كِتابَ الأَخِ مايْكِل المُرَصَّعَ بِالجَواهِرِ.

تَنَهَّدَتِ السَّاحِرَةُ تَنْهيدَةً عَميقَةً، وَمَرَّرَتْ يَدَها بِتَأَنٍّ عَلى الغِلافِ المُشِعِّ... قائِلَةً: «كِتابٌ فَنِّيٌّ رائِعٌ!»

وَضَعَتْ مُرجانَة الكِتابَ قُرْبَ المَخْطوطَةِ مِنْ أَيّامِ الرّومانِ، وَكِتابِ القِدَدِ الخَيْزَرانِيَّةِ مِنَ الصِّينِ القَديمَة.

قالَ شادي لِمُرجانَة: «يُؤْسِفُني أَنَّ القِصَّةَ الَّتي تُريدينَها لَيْسَتْ كُلُّها مَوْجودَةً هُنا. فَالأَخُ مايْكِل لَمْ يَتَمَكَّنْ مِن إِنْهائِها.»

هَزَّتْ مُرجانَة رَأْسَها، قائِلَةً: «أَعْرِفُ ذلِكَ، يا شادي. وَمِنَ المُحْزِنِ جِدًّا أَنْ لَيْسَ في حَوْزَتِنا سِوى مَقاطِعَ وَأَجْزاءَ مِنْ قِصَصٍ قَديمَةٍ رائِعَة».

سَأَلَتْها عُلا: «عَمَّ كانَتْ تِلْكَ القِصَّة؟»

فَقالَتْ مُرجانَة: «إِنَّها حِكايَةٌ إيرلَنْدِيَّةٌ قَديمَةٌ عَنْ أُفْعُوانٍ عِمْلاقٍ يُدْعى سارْف.»

قالَتْ عُلا: «هُوَ الَّذي أَنْقَذَنا بِدَفْعِ سَفينَتِنا فَوْقَ الأَمْواجِ العاتِيَة.»

وَقالَ شادي: «كانَ سارْف تِنِّينًا هائِلَ الحَجْمِ، وَبَشِعًا!»

اِبْتَسَمَتْ مُرْجانَة، وَقالَتْ: «في بَعْضِ الأَحْيانِ، تَقومُ هذِهِ الحَيَواناتُ الأُسْطورِيَّةُ بِتَصَرُّفاتٍ بُطولِيَّةٍ خارِقَة!»

سَأَلَها شادي: «وَماذا عَنِ الفايْكِنْج؟»

– أوه، قَطْعًا. فَالفايْكِنْج أَيْضًا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَكونوا أَبْطالًا. وَفي الواقِعِ، ما إِنِ اسْتَقَرَّ الفايْكِنْج حَتّى أَصْبَحوا أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ شَعْبٍ مُقاتِل. وَبِالفِعْلِ، فَإِنَّهُمْ قَدَّموا الكَثيرَ إِلى الْحَضارَة.»

قالَتْ عُلا، بِسُرورٍ: «لَقَدْ وَجَدْنا الحَضارَةَ في رِحْلَتِنا!»

وَأَيَّدَها شادي، قائِلًا: «نَعَمْ، في مَكْتَبَةِ الدَّيْر!»

اِبْتَسَمَتْ مُرْجانَة مَرَّةً ثانِيَةً، وَقالَتْ عَنِ الرُّهْبانِ الإيرْلَنْدِيّينَ: «كانَتْ مَكْتَبَتُهُمْ ضَوْءًا بَرّاقًا في العُصورِ المُظْلِمَة. أَلَيْسَ كَذلِك؟»

هَزَّ شادي رَأْسَهُ مُتَذَكِّرًا الأَخَ مايْكِل وَبَقِيَّةَ الرُّهْبانِ العامِلينَ عَلى تَأْليفِ كُتُبٍ أَوْ نَسْخِها.

قالَتْ مُرْجانَة لِلْأَخَوَيْنِ الصَّغيرَيْنِ: «أَشْكُرُكُما أَيْضًا عَلى شَجاعَتِكُما الفائِقَة. فَأَنْتُما، أَيْضًا، بَطَلان!»

اِبْتَسَمَ شادي بِخَجَلٍ، فَقالَتْ مُرْجانَة: «عودا إِلى بَيْتِكُما الآنَ، وَارْتاحا!»

وَدَّعَها الأَخَوانِ الصَّغيرانِ، وَنَزَلا عَلى سُلَّمِ العِرْزالِ... فيما بَدَأَتِ السَّماءُ تَتَحَوَّلُ إِلى الوَرْدِيِّ وَالذَّهَبِيّ.

عِنْدَما وَصَلا إِلى الأَرْضِ، نادَتْهُما مُرْجانَة مِنَ العِرْزالِ قائِلَةً: «عودا بَعْدَ أُسْبوعَيْنِ... لِتَجِدا لي كِتابًا مَفْقودًا آخَر.»

سَأَلَها شادي: «أَيْنَ هُوَ؟»

– في اليونانِ القَديمَة. في مَكانِ الحَضارَةِ الأَسْمى... وَأولى الأَلْعابِ الأولَمْبِيَّة!

صاحَتْ عُلا بِسُرورٍ بالِغٍ، لكِنَّ شادي كانَ أَكْثَرَ مِنْها سُرورًا وَتَحَمُّسًا. فَقَدْ كانَ يَحْلُمُ دَوْمًا بِالذَّهابِ إِلى بِلادِ الإِغْريق.

رَكَضَ الأخَوانِ الصَّغيرانِ عَبْرَ غابَةِ الشَّجْراء. وَبَدَأَ شُروقُ الشَّمْسِ لَحْظَةَ وُصولِهِما أَمامَ البابِ الأَماميِّ لِبَيْتِهِما.

فَتَحَتْ عُلا البابَ بِهُدوءٍ، وَأَدْخَلَتْ رَأْسَها مُتَنَصِّتَةً.

ثُمَّ قالَتْ لِأَخيها هامِسَةً: «هُدوءٌ تامٌّ، مَعْناهُ أَنَّ والِدَيْنا ما زالا نائِمَيْن.»

دَخَلَتْ عُلا عَلى رُؤوسِ أَصابِعِها، فيما اسْتَدارَ شادي لِمُشاهَدَةِ الشَّمْسِ تُشْرِقُ في السَّماءِ الزَّرْقاءِ الصّافِيَة.

إنَّها الشَّمْسُ ذاتُها الَّتي أَشْرَقَتْ في سَماءِ إيرْلَنْدا... قَبْلَ أَلْفِ عام!

وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ شادي بِصمْتٍ إلى البَيْتِ الهادِئِ، رَدَّدَ ذاكَ القَوْلَ الجَميلَ لِلرّاهِبِ باتْرِك: «تَأَلَّقْ، يا ضَوْءَ الشَّمْسِ، في هذا اليَوْمِ المَليءِ بِالأَعاجيب!»

هل أحببت هذه القصّة؟

مغامرات مشوّقة أخرى تنتظرك مع شادي وعلا.

↓↓↓







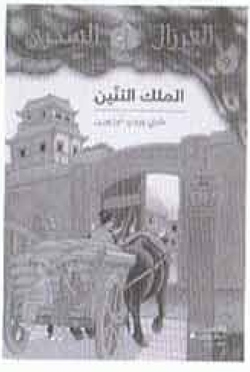


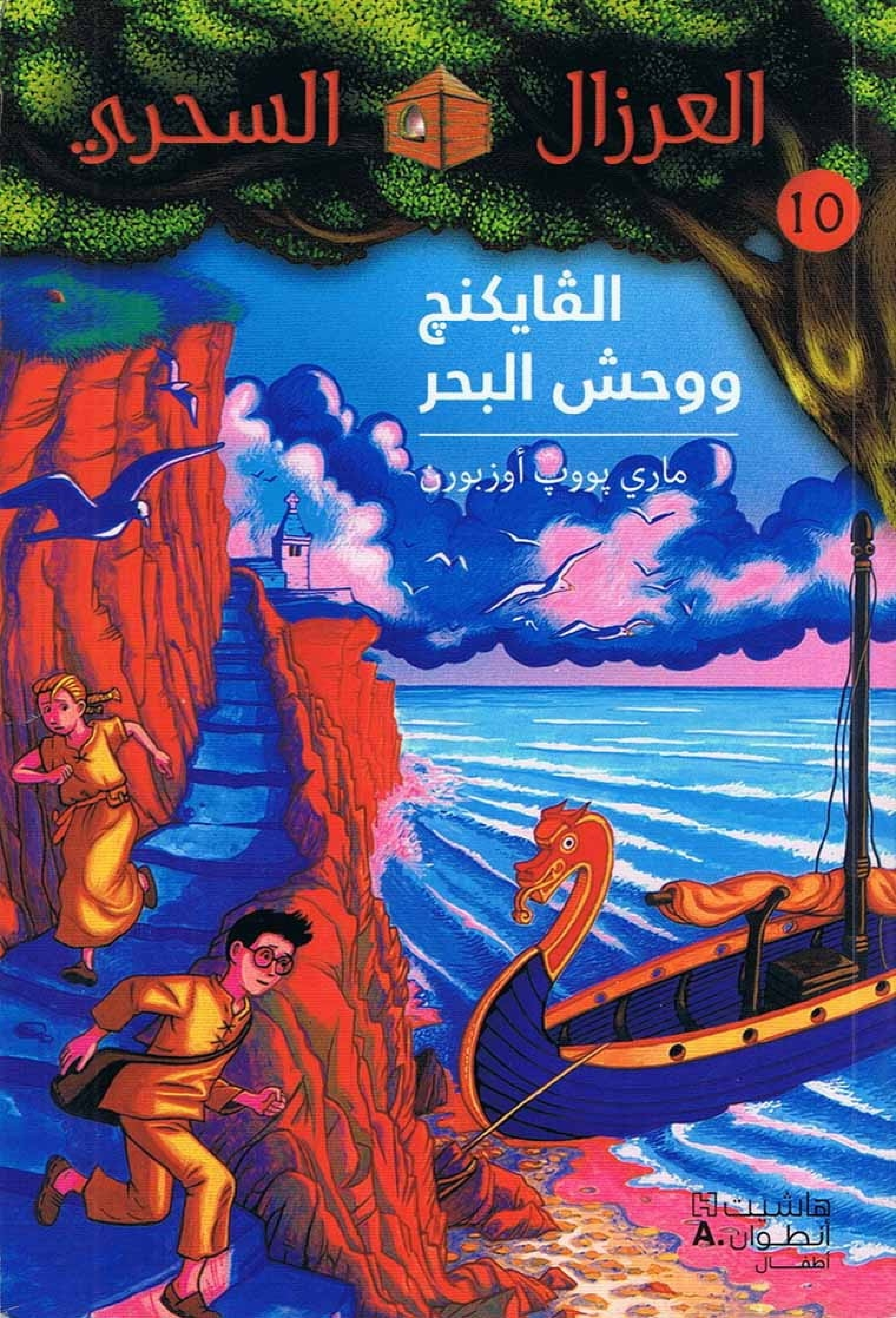











العرزال السحري
10
الڤايكنج ووحش البحر
ماري پووپ أوزبورن
هاشيت
أنطوان A.
أطفال